

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ عن المبدئ الواحد

الاصحاحات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها الشول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٣ ربيع أول سنة ١٣٦١ - الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

من مؤامرات الحرب

لا بد للإسلام من مؤتمر

جلست ذات أسمية إلى الليناع أنتقل فيه بسمى الرهف
بين برلين وباري ولندن وموسكو وطوكيو وباريس وأقرة، وكلها
تذيع باللغة العربية، وتوجه الكلام إلى الأمة العربية. قلت
في نفسي: سبحان الله! ما هذه العناية اليقظة بنا، والاهتمام البالغ
بلفتنا وأديننا، كأننا لا نزال نملك زمام الدنيا ونصرف عتائنا
القدر! ثم أعلن للذيعون أبناء الحرب في ميادينها المختلفة،
فاذا هم يذكرون: أفريقية الشالية، ومصر، وفلسطين،
وسورية، والعراق، وإيران، والهند، والصين، والملايو،
وسنغافورة، وجزر الهند الشرقية؛ وكلها مواطن الأم
الإسلامية، ومسارح الثقافة العربية؛ وليس من أهلها للمغير
ولا المنافع؛ وإنما هم كنز الأرض وعروض التجارة خسارة
للمتلوب وريح للغالب. فصدت أقول لنفسي: ما أشبه تلك
الإذاعات المينة المطوف بالرق الساحرة، يسلطها المقرن على
أعصاب الفريسة لتختدر وتنام، فلا تنشب في حلقة ولا تضطرب
في جوفه! وما أعجب ألا تشب الحرب الاستعمارية، وتتصارع
القول القوية، إلا حيث يملك العرب ويعيش المسلمون، كأنما
أصبحوا سلباً لكل غازٍ ونهباً لكل غاصب! ألم يكن هؤلاء الناس أعقاب أولئك القامحين الذين نزل

الفهرس

صفحة

- ٣٦٩ لا بد للإسلام من مؤتمر ... : أحمد حسن الزيات ...
- ٣٧١ قبل أنت تشور القواصف { الدكتور زكي مبارك ...
- فوق ألباج الكوثر ...
- ٣٧٦ العلم والأدب ... : الأستاذ محمد عبد الدق ...
- ٣٧٨ خواطر وصور ... : الأستاذ غري شهاب العبيدي
- ٣٨٠ كتاب « سحر الميون » ... : الأستاذ أحمد يوسف نجاتي
- ٣٨٤ ابن خرداذبة ... : الأستاذ كوركيس عواد
- ٣٨٧ للصرون المحدثون : شملهم { للتشرق « إدورد وليم لين »
- ومطالمتهم ... : بقلم الأستاذ عبد طاهر نور
- ٣٨٩ الطر الأسير ... [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
- ٣٨٩ وجوه طرفة .. : الأستاذ سيد قطب ...
- ٣٩٠ التصريح الإسلامي الدائم وللوقت : « عالم » ...
- ٣٩٠ أين عقبة وعيد بن شراه { الأستاذ محمود عزت مرة ...
- المجاهدين ؟ ...
- ٣٩١ إقتراح ... : الأستاذ عصام الشريف ...
- ٣٩١ الصوفية ومنعج الحلول ... : الأديب محمد منصور خضر
- ٣٩١ نظرة في ديوان الفتيحي ... : الدكتور عبد الوهاب مزام
- ٣٩٢ وفاة فكتور مرجريت ... : ...
- ٣٩٢ بين بهر وبيور ... : الأديب محمد قهي ...
- ٣٩٣ عبادة ... [قصيدة] : الأستاذ محمد عثمان ...

على حكمهم الدهر ودخل في ملكهم العالم بضعة قرون ؟

أليس هذا الإسلام الذين يؤمنون به اليوم هو إسلام ذلك الخليفة العباسي الذي نظر ذات يوم إلى السحاب الجون ترجبها الرياح الرعن إلى أقاصي الأرض ، فقال في لهجة تنم على العزة والجلالة والشكر : « أمطري يا سحاب حيث شئت فإن خراجك لي ! » بلى ، هؤلاء أعقاب أوثك ، ولكن الدين الذي يمتدونه لم يعد دين ذلك الخليفة ؛ إنما هو بقية من الإسلام الأول حالت ثم آلت إلى صوفية بلهاء لا يفقه الموسوس بها من الفعلة ، ولا ينشط من المحمود ، ولا يبالي أن يبلغ ساحل الحياة مراكباً على ظهره أو مسحوباً على وجهه ! والدين والملم مآلها في النفوس الضعيفة والعقول الخفيفة إلى الترهات والأباطيل : فأبولة الكيمياء إلى البحث عن حجر الفلاسفة ، وعلم الفلك إلى التنجيم والسحر ، كأبولة الإسلام إلى هذه العقيدة الملققة التي زيف فيها الإيمان بالقدر حتى أهل الناس التوقي استسلاماً للقضاء ، وتركوا السعي اعتماداً على (القسمة) . و « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال « ولئن سألتني بعد ذلك : هل بلغ العلماء رسالة الله لأقولن لك : لا » منلظة مكبرة مكررة ! وأكبر الظن أنهم لا يؤمنون بأن لهم رسالة وأن عليهم تبعة

رجال السياسة يعملون بحق أو بباطل ، ورجال الحكم يتصرفون بمعدل أو بظلم ؛ أما رجال الدين في ممالك الوطن الإسلامي كله فقد قنوا باللقب والري ، واكتفوا بالشيخ والري ، ورضوا أن يكونوا متوناً لذوى الطمع ، وحواشى لأولى النعمة ، وهوامش على صفحة الحياة !

على أن سلطان الدين أكل وأشمل من سلطان السياسة ولسطان الحكم ؛ فإن هذين لا يتجاوزان بقعة من الأرض ولا أمة من الناس ؛ ولكن ذلك ينبسط على كل مكان فيه لله ذكر ، ويهيمن على كل إنسان له في الإسلام فكر . وعلماء الدين هم الطوائف التي فترت من كل فرقة ليتفقوا في الدين ولينشدوا قومهم ؛ فإذا تفقهوا ولم ينشدوا ، أنكروا ما خلقوا له ، وعصوا ما أمروا به . وليس الإنذار أن يلهجوا بذكر الحساب والعتاب ، وإنما الإنذار أن ينهبوا الخطي ، ويوجهوا الخائر ، ويرشدوا القوى ، وينصبوا في مجاهل الأرض أعلام الطريق لو كان علماء الإسلام يعملون لكان لهم مثل ما للبشرين

والستمرين والمستشرقين من المؤتمرات التي تعقد العام بعد العام ، في الدولة بعد الدولة . والله قد فرض على المسلمين أمثال هذه المؤتمرات العامة بالحج . وإذا كان وفود العلماء من الأقطار المختلفة إلى إحدى المدن تموله الأهواء والظنون ، فإن وفودهم إلى مكة لا يموله غير الشيطان ، ورجال الدين والحمد لله في عصمة منه

لا بد للإسلام من مؤتمر يجمع زعماء الرأي في أهله ليجددوا ما دّرس منه ، ويوضحوا ما التبس فيه ، وينفوا عنه ما غشيه من أساطير القرون وأضاليل الفحل ، ويجلوه للناس كما كان صالحاً للحياة ، كافلاً للفوز ، ضامناً للسعادة

لا نطمح أن يجتمع هذا المؤتمر اليوم ، فإن الزلزلة التي لا تنفك آخذة بأقطار الأرض وأفكار الناس تجعل العقاب والسدود من دونه ، ولكننا نطمح أن يفكر أولو الأمر فيه ويهيشوا الأسباب له ؛ حتى إذا عادت السلم وتخلق زعماء الأمم حول الموائد الخضر لإقرار السلام الدائم واختيار النظام الملائم ، اجتمع كذلك علماء الإسلام ليعرضوا على العقول الحائرة والأجسام الخائرة نظام الله خالصاً كما أوحاه ، صافياً كما أنزله . نعم لا بد للإسلام من مؤتمر يقيم بين البحر والصحيح حداً من نور الحق يجتمع عليه القطيع الشارد ، ويهتدى إليه الركب الضلل . ولكن ليت شعري من الذي يفكر في هذا المؤتمر ويعمل له ويدعو إليه ؟

لقد عقدنا الآمال بالأزهر في كل ذلك ، فهل عقدناها بلعاب الشمس ؟

كانت (جماعة كبار العلماء) معقد الرجاء ومناط الثقة ؛ وكانت هذه الجماعة في نظامها الجديد عسيّة أن تدعو إلى هذا المؤتمر بعد الحرب في الميدان الأتني للقاهرة ؛ وكان الظن برنامج الإصلاح الذي اقترحه شبابها المسلحون ، وأقره أقطابها المخلصون ، أن يكون نواة الإصلاح وقطة التحول ؛ ولكن جندياً باسلاً من جنود الإصلاح الديني كتب إلينا يقول : إن برنامج الإصلاح أدركته أزمة رجعية توشك أن تخنقه في درج المشيخة . فإن عضواً من الجماعة يوجب منه شراً ، فهو ينسج حوله الشكوك ويؤلب عليه القوى ، وقد نجح في ذلك !

فهل يجوز في ظن امرئ أن يكون في كبار العلماء من يشبه عليه الحق والباطل والخير والشر والصلاح والفساد ؟ ذلك ما لا نصدقه ، ولا نود أن تجري الأمور بما يحقّه

(التصويرة)

من الزمان

بين آدم وحواء

قبل أن تثور القواصف فوق أثباج الكوثر للدكتور زكي مبارك

ارتاح آدم إلى كيد حواء بمض الارتياح ، وأدرك أن الرجل لا يسيه أن يُفتن بالمرأة من حين إلى حين ، على شرط أن يظل في الحدود التي لا تجرح كرامة الرجال
وفطن إبليس ، لعنه الله ، إلى أن آدم أخذ يؤول كيد المرأة ويقسمه إلى أقسام فيها المكروه والمباح ... فطن إبليس إلى هذه الثغرة فجدد من نشاطه واستأنف الوسواس فهتف :
« هل أدلكما على شجرة الخلد ؟ ... هل أدلكما على شجرة الخلد ؟ ... ألا تسمعان ؟ »

قالت حواء : سمعنا وسنطيع . وقال آدم : سمعنا ولن نطيع
ففضبت حواء من جواب آدم واهتمته بالزهد في الخلود ، وهو زهدٌ دميم ، فسا يلقى بالرجل أن يضيع فرصة تنجيه من الفناء ، ولو ارتكب في سبيلها ما لا يلقى

وغضب آدم من سفاهة حواء فقال : من أين عرف إبليس أن شجرة الخلد هي شجرة التين ؟ وعلى فرض أن كلامه صدق في صدق ، فكيف يجوز أن نعصى الله لنظفر بالخلود ؟

لعل ، يا حواء ، أن الرزق والجاه قسمان : حرام وحلال ، وأنا لا أقبل أن تُرزق الخلد عن طريق الحرام ... إن القصة المسروقة تقف في الحلق لحظة ، ثم تُردّد برفق أو بصنف . ومع هذا تبقى لما عقابيل تمزّ في القلب إلى أماد طوال ، فكيف نستجير الظفر بنعمة الخلود عن طريق المعصيان ؟ وكيف نرضى أن نميش أبد الآبدين في أسر الحرام الممقوت ؟

— آدم ، أنت أحمق !

— لأنني أزهّد في الخلد للكسب بالمعصيان ؟

— لا ، بل لأنك تجهل أن الخلد أنفس وأنعم وأعز من أن تُشقى في سبيله الشبهات

— النص صريح في تحريم هذه الشجرة يا حواء

— التأويل يلحق جميع النصوص

— إذا وجدت الناية التي تبيح المنوع من التأويل !

— وأى غاية أشرف من الخلود ؟

— لاسمى ، يا حواء ، إن الخلد غاية شريفة — كما قولين —

ولكني أبغضه أشنع البغض ، لأنه يجب أن أعيش في صحبة

عقلك الأجوف إلى ما لا نهاية له من الآباد ... إني صَحِرت ،

صُجرت ، مع أن صحبتنا في الجنة قريبة العهد ، فكيف أصنع

إذا كتب الله عليّ أن أكون من الخالدين في جوارك يا حواء ؟

— تنضب مني يا آدم وأنا أدعوك إلى الخلد ؟

— هو خلدٌ حرام لا حلال ... وما يليق بنا أن نعامل الله

في كرمه بغير الامتثال

— أتصِفُ الله بالكرم وهو يخل علينا بشجرة لا يساوى

حطبها درهمين ؟

— ألم أقل : إن الله يختبر قوانا النفسية بتحريم تلك

الشجرة ؟ وإذا عجزنا عن كبح النفس في البعد عن شجرة

لا يساوى حطبها درهمين ، فكيف يكون المصير لو نهينا عن

شجرة مصروغة من عيون العذارى وخذود الملاح ؟ المعصية بفيضة

يا حواء ، لأنها تضيفنا إلى أهل الكفران ، وما يجوز لمن يعيش

في مثل هذا النعيم أن يفكر لحظة واحدة في عصيان المنعم الوهاب

— الله منعمٌ وهاب ، وهو يخل بشجرة لا يساوى حطبها

درهمين (١) ؟

— الآن عرفتُ أنك امرأةٌ سليمة الأعصاب والجواس

إلى أبعاد الحدود

— وكيف ؟

— لأنك تنكرين الجليل ، والمرأة لا تنكر الجليل إلا حين

تكون في عنفوان الصحة والعافية

— وإذن ؟

(١) هل كان في جنة آدم وحواء دراهم ودنانير ؟ إن هذا يؤيد الظن

في صحة كتاب « شيت »

— ثم ماذا ؟

— ثم أكره الصوت الذي يُشبه وسواس الحليّ فوق النحور ، والذي يفوق غنمة الكأس عند فورة الرحيق

— ثم ؟

— ثم أنور على التفانة الجيد عند العتاب

— ثم ؟

— ثم أبغض حواء لأنها حواء !

وبعد الأنس بقبيلتين محرقتين مضى آدم لشهود حفلة

الطيران ، وهي حفلة موسمية كانت تقيمها الحائم والبلابل

والعنادل في « غابة الصنوبر » لتروض أفراسها على النهوض

والتحليق . ومحدثنا شئت أن حفلات الطيران هذه كانت تجتذب

جميع سكان الجنة بلا استثناء . وقد نص على أن السباع كانت

تراها عجباً من العجب ، لأنها تشهد بتنوع المواهب ، وإلا فكيف

جاز أن يقدر الطائر الضميف على ما يعجز عنه الأسد الصوّال ؟

مضى آدم وحده لشهود حفلة الطيران ، وهو مبتسم جذلان ،

قد ألقى نفسه من الحيرة في قرب شجرة التين ، وأسلم مصيره

إلى خالق الأنوار والظلمات ، فلأقدار أن تصنع به ما تشاء

أما حواء فشمرت بحزن واقباض حين رأت آدم لا يمانع

في قرب الشجرة المحرّمة ، ولهذا قلت بشاشتها لشهود حفلة

الطيران ، وكذلك آثرت الاعتكاف لتتظر فيها هي مقبلة عليه ...

فما الذي تأذت به حواء وقد بلغت من ختل آدم فوق ما كانت

تريد ؟

نظرت حواء فرأت أن الشقاق حول الشجرة المحرّمة كان

فرصة لشغل آدم بزوجته شغلاً غير مقطوع ، والراة يرضيها

ويسرها ويشوقها أن يعيش الزوج وهو بها مشغول ، فكيف

تكون الحال بعد أكل الثمرة المنوعة حين يصبح جميع ما في

الجنة حلالاً في حلال ؟

ونظرت فرأت أن الجدال حول الشجرة المحرّمة الآن لسان

آدم وعلمه الجوار بأساليب لا تخلو من البراعة والظرف ، وقد

تصل إلى السّحر في بعض الأحيان ، فكيف المصير إذا تساوت

قيم الأشياء واستغنى آدم عن الجدال ؟

سيكون الصمت من نصيب آدم حين تنعدم أسباب الخلاف ،

— وإذن أعصى الله من أجلك يا حواء !

— فتأكل من شجرة التين ؟

— وأترك طبعات على هذه الحدود القبوسة من جمر الوجود

— تحبني ، يا آدم ؟

— أحب المرأة الحلوة الجميلة التي زلت قواذي . أحب

المرأة التي تقلت قلبي من مكان إلى مكان . أحب الغادة اللعوب

بالمقل والروح . أحبك يا حواء حباً أمقن من الصديق وأروح

من اليقين . أحبك يا حواء حباً سيفسد ما بيني وبين ربّي ،

إلا أن تشاء إرادته السامية أن أهرب إليه بعبادة الجمال ...

ولعله يشاء !

— وإذا لم يشأ ، فاذا تصنع ؟

— آكل من شجرة الخلد ، لأحیی هذا الجبين من الأنول

— بالمصيان ؟

— هنا المشكلة يا حواء ، فإسيغ ذهني أن ينهانا الله عن

رعاية الجمال

— أراك اهتمت !

— وأراني ضلت !

— أرفق ، يا تشوان

— إن جاز للعوقوذ بكسر الجمال أن يفیق !

— تحبني يا آدم ؟ تحبني ؟

— أحب النار التي صهرت روحي ، ولني أطمئن إلا يوم

أنهشك يا حواء لتمودي نقطة من دمي

— ما هذه الوحشية ؟

— أيّ وحشية ؟ ألم تؤخّفي من ضلّي ؟

— أنا من ضلّك أخذتُ يا كذاب ؟

— إسألني لللائكة ، فعندم الخبر اليقين

— ولهذا جئت جميلة ؟

— وأجعل من الأفي اللتوية على الشجرة الزهراء !

— أراك نبغضني يا آدم !

— هو ذلك : فأنا أبغض الميئون الجوارح ، وأبغض الجبين

الروضاح ، وأمقت القدر الشقي ، وأستعيز بالله من المحر المتموج

فوق التنايا البيض

الخشب والماء ، فقد اهتدى إلى أن من يمتطي الخشبة لا تهوله
أمواج الكوثر في كثير ولا قليل ، وهل يكون امتطاء الهواء
أوثق من امتطاء الماء ؟ (١)

لو كانت حواء حاضرة لقال لها وقال ، ولكن أين حواء ؟
هنا أدرك آدم أن الحياة بلا رفيق لفظٌ بلا مدلول

ألم يكن يجرد من نفسه شخصاً يحاوره حين يمتكف ؟
ألم تكن أشعاره تبدأ بعبارة « يا خليلي » أو « يا صاحبي »
كأنه يرى بضوء البصيرة أنه يحتاج إلى عدد من الأصحاب والخلان ؟
ألم يلاحظ أن الله حين اختصه بالنطق قد أوحى إليه أن حياته
لن تكون بلا رفيق أو رفاق ؟ !

أين حواء ليبادلها الأحاديث ؟ وأين ماضيه في الطيران بأجواء
الحقائق والأباطيل ؟

إلى حواء ، إلى حواء ، إلى حواء !!

فإذا برى آدم ، وماذا يسمع ؟

يرى فتاة خامنة بجوار شجرة التين ، ويسمع أنيناً يذيب
لقائف القلوب

— حواء !

— ...

— حواء !

— ...

— حواء !

— آدم ؟

— نعم ، آدم ، ماذا بك يا حواء ؟

— لا شيء ، ولكن أين كنت ؟

— كنت أشهد حفلة الطيران

— ورأيت عدل الله ؟

— فيماذا ؟

— في ترويد الطير بنعمة لن نظفر بها أبداً ، فهو يطير عن
هذه الجنة حين يشاء !

— وهل مللت الثواء بالجنة يا حواء ؟

— أي جنة تريد ؟ أريد هذا العيش الرتيب ، العيش القى

(١) من هذا نعرف أن آدم سبق نوحاً إلى اختراع السفينة ، وإن
لم يبقه إلى ربطها بالسر والألواح

فكيف تعيش حواء مع رجل صموت ؟ وهل قل صمت آدم
برغم ذلك الخلاف ؟ لقد كانت له تأملات طويلة ينسبها ما حوالبه
حتى لتحسب زوجته أنه لا يشعر بأن لها من الوجود أى نصيب ،
فأى بلاء ينتظر حواء يوم تنقطع موجبات اللجاجة مع فارسها
الجميل ؟

في تلك الحومة كادت حواء تنتقل من المصيبة إلى الكفران ،
والمياذ بالله ، فقد جاز لها أن تعترض على نظام الجنة ، وأن ترى
أنه لا يخلو من اختلال . والثورة النفسية تحيل النعم إلى جحيم ،
وذلك ما وقعت فيه حواء

نظرت فرأت أن الجنة قليلة المحرمات ، فهي قليلة الطيبات ،
وهل يستطيع الناس غير المنوعات ؟

نظرت في هذا المعنى ملياً ثم صرخت :

أرى طيب الحلال على خُبنا وطيب العيش في خُب الحرام
وهمت باقتلاع شجرة التين لتحوّل الجنة إلى خراب نياب ،
فما كانت الجنة في نظرها غير تلك الشجرة المنوعة ، وإذا اقتلعت
تلك الشجرة فسوف يرى الله أن عنايته بخلق الجنة ذهبت
أدراج الرياح !

ولكن شجرة التين التي لا يساوى حطبها درهمين أعجزت
حواء فلم تستطع اقتلاعها برغم ما بذلت من الجهد « المحمود »
فتمكمت على عقبيها وقد نال منها الإعياء ما نال

وكان المفهوم أن تنجبل من الهزيمة أمام شجرة التين ،
وأن يزيد حقدنا على الله ، ولكنها فرحت حين عرفت بالتجربة
أن « شجرة الشر » قوية الجذور ، وأن الأمل في اقتلاعها
ضعيف ، وتمنت أن تصبح الجنة وفيها لهذه الشجرة أمثال وأمثال
ذلك ما كان من أمر حواء ، فما أمر آدم وقد ذهب وحده
لشهود حفلة الطيران ؟

رأى جميع المتفرجين يتحدث بعضهم مع بعض ، وهاله
أن يرى الثعلب يناجى أثناء يجنل وانسراح ، كأنه يدرك الدقائق
من طيران أفران المتدلي ، ورأى الأفي تخاطب الأفسوان
بعبارات فهم منها أن خمر البحر في أصل الشجرة لا يقل
خطراً عن بناء العش في أعالي الأغصان

أراد آدم أن يتكلم ، ولكن مع من ؟

لو كانت حواء حاضرة لحسبها عن ذكائه في استكشاف ما بين

لا يجرّم فيه غير طعام واحد؟ العيش المملول، العيش الذى
يقدم فيه التفاح بلا حساب؟

— وما عيب هذا العيش يا حواء؟

— عيبه أنه حلال فى حلال

— وماذا تريدن؟

— أريد أن يكون لى جموح يُغضب الله

— وماذا تستفيدن من غضب الله؟

— أريد أن أشغله بنفسى

— لك الويل، يا شقية!

— لك أنت الويل، يا بليد!

— حواء، أنت حقاء!

— الأحمق هو الذى يشهد حفلة الطيران ولا يستفيد

— وماذا يستفيد المرء من شهود حفلة الطيران؟

— ألم تر مئات الأفراخ من الحائم والبلايل والعدائل
والصقور والعقبان وهى مجرّحة بسبب العنف فى التمرن على الطيران

— نعم، رأيت، نعم رأيت!

— تقول إنك رأيت، فهل فهمت أن تلك الجراح هى سرّ

القدرة على التحليق؟

— وإذن؟

— وإذن تجرّح مرة أو مرتين أو مرات ...

— لماذا؟

— لتطير فى أجواء الرشد والنّى والمكسّى والضلال

— إن كنت تريدن شجرة التين فليّن أقرب شجرة التين

— حدثنى أحد الملائكة ...

— وتحدثك الملائكة يا حواء؟

— وتحدثك أيضاً ولكنك لا تسمع!

— وماذا قالت الملائكة؟

— قالت إن الله أخبرهم أنه سيجعل فى الأرض خليفة،

وأهمّ كرهوا أن يجعل فى الأرض من يُفسد فيها ويسفك الدماء

— وماذا أجاب الله؟

— قال: إني أعلم ما لا تعلمون

— ومعنى ذلك؟

— معناه أننا سنصير إلى الأرض

— بعد هذا النعم؟

— وهل نحن فى نعم؟

— اتقى الله يا حواء

— اتقى الله أنت

— الأرض، الأرض، الأرض!!!

— الأرض، الأرض، الأرض!!!

— كذلك دار ذهن آدم وحواء بهذه الكلمات، واشتهى آدم
واشتهت حواء رؤية ذلك العالم المجهول

— إلى شجرة التين، يا آدم

— إلى شجرة التين، يا حواء

— ولكن احذر من أن تقول لى أغريتك!

— لم يغرنى غير العيتين النجلوين، والخدين الأسيلين،

والنثر الممطر بأنفاس الرحيق

— إعترف صراحة بأنى ما أغويتك ولا أضللتك ولا زنت

لك المصيان

— أعترف بأن حواء لا تُسأل عما يجنى قدها الرشيق

— ولا خصرها الأهيف؟

— ولا جيدها الأغيد!

— ولا ثغرها الرشوف؟

— ولا طرفها الكحيل!

— ولا ثنيها وهى تتخطر فوق شط الكوثر؟

— ولا سحر اللون الذى يتموج بساقيتها حين تتمدد فوق

الأعشاب!

— ولا يلوّماها حين تتور؟

— ولا بكرمها حين تطيع!

— آدم، آدم، أنت مخلوق نبيل

— معاذ الله أن أكون كذلك، فإي وصف الرجل بالنبل

إلا حين يملك ما يأتى وما يدع. وقد قلّت حيلتى فى رياضتك

يا حواء، فأنا بفضل هواك من المالكين

— لن تهلك وأنا معك

— ولن أهلك إلا لأنك مى، فالرفيق الفاسد يجرّ صاحبه

إلى الهلاك

- الله قَدَّرَ أن يكون مصيرنا إلى الأرض ، فما خوفك
وتلك لإزادته السامية ؟
— للجنة أسوار وحدود ، وأنا أخشى أن تكون الأرض
بلا أسوار ولا حدود
— عند ذلك تستطيع أن تقرر متى حين تشاء
— أنا في الجنة مقهوراً على صحبتك بفضل الأسوار ، وسأكون
في الأرض مقهوراً على صحبتك بفضل الأهواء ، والفرق بين
الحالتين بعيد
— لك أن تتحرر من هواي
— لو أصبحت تراباً يا شقية لكان من واجبي أن أستاف
ذلك التراب
— تحبني يا آدم ؟
— أحب اللسان الذي يتلجلج بفم الحياة التضاض
— أنت وقع !
- الوقاحة لن تكون إلا من نصيب الجبال الذشوان !
— النشوة العارمة لم تعرف إهدأ غير إهابك
— ولهذا أخضع للشهوة وضيع
— إذن تأكل من شجرة التين
— وأستبيح المعصية في سير الجبال
— خذ هذه التينة يا آدم
— إيدني بنفسك
— هذه واحدة وثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، فهل وقع شيء ؟
— لم يقع شيء !
— وإذن يكون التين من ثمر الباح
عند ذلك مدَّ آدم يده فآثم ثمرة التين وهو يرجو أن يكون
مصيره مصير حواء ، ولكن الجنة زُوت من جميع الجوانب
فأدرك أن الله لا يقيم وزناً لغير هفوات الرجال .
« للحديث شعبون وشجون » « زكى مبارك »

إلى البرلمان الجديد

كلمة التعليم الإلزامي

التعليم الإلزامي في البرلمان

الجزء الأول من : تقوم التعليم الإلزامي

أوفى مرجع للشغطين بالتعليم الإلزامي والشئون الاجتماعية

من فهرس المواد

رسالة التعليم الإلزامي مستمدة من روح الدستور — التعليم الإلزامي في مجلس النواب — الديمقراطية والتعليم الإلزامي — التعليم الإلزامي طرفة
اجتماعية خطيرة — لا خطر في التعليم الإلزامي على الحياة الاجتماعية — تنفيذ الإلزام من أهم أسباب تنشأ للشروع — المشكلة المعية للأطفال — سن
التعليم الإلزامي ومدته في مصر وللملك التمدية — حظ القرآن الكريم في مشروع التعليم الإلزامي — طمعة هوباء يثيرها الرحوم محمود زكى — إحلال
خريجي الأزهر محل للطلبة الحاليين — جل الدراسة يوماً للبنين وروماً للبنات — نتائج التعليم الإلزامي تمت على انقضاء — التعليم الإلزامي في مجلس
الشيوخ — تنسيق الصلة بين التعليم الإلزامي والتعليم الابتدائي — المجانية وتعليم اللغة الأجنبية مشكلتان بمنهج التعليم الإلزامي — سر الحلة
على هذا التعليم — تعليم الدين لغير المسلمين — التعليم الإلزامي بين الماخية والمعارف — العلم الإلزامي تحت قبة البرلمان — الإحصاء الأخير ..

لطائفة ممتازة من الشيوخ والنواب في جميع العهود البرلمانية

صدر هذا الجزء في ٩٦ صفحة ووزع على المشتركين ، ولدى المؤلف كمية محدودة للاشتراك الجديدة

٢ شارع عبد النعم
بيادين . القاهرة

محمد كامل حته

١٠ قروش اشتراك
لتقوم بأجزاء الثلاثة

الأدب والعلم للاستاذ محمد محمد المدني

صدر هذا الكتاب ؟ ولم إذن كنت تسخر منه ، وتُترب
في الضحك عليه ؟

لا يا صديقي ، ما لهذا يريدك أصدقاؤك ، وما لهذا أردت
نفسك ، وما لهذا أعدتك « شعبة البلاغة والأدب » في تخصص
الأزهر . لا تكفر بالأدب ولا تنأ بجانبك عنه ، واستغفر لذنبك
ودع الفقه والجدال فيه ، ودع الأزهر والحديث عنه ،
والتحرق له والبقاء عليه ، فاذك بمن عنبك قليلاً . وسوف
يبقى الفقه كما هو ، وسوف يبقى الأزهر كما هو ، وسوف تضيغ
صيحاتك وصيحات غيرك في شأنهما هباء كما ضاعت من قبل
صيحات وصيحات ! عد إلى أحضان الأدب يا صديقي وأسمنا
شدوك عند رياضه وغياضه ، وطر إلى آفاقه ، وحلّق بجناحك
في سمائه ، فربما غنيت على قيثارته الحاناً يروها عنك الزمان ... »

هذا كتاب صديقي إلى ، أثبتته كما هو لأنه وإن كان كتاباً
خاصاً يتحدث عن شأن له ناحية من العموم ، ويمثل رأياً يترج
إليه جبهة من شباب المتأدين في هذا العصر فهم به مولعون
ولست أرى أني أغاضب الأدب وأحافيه — كما يتصور هذا
الصديق — حين أكتب في موضوعات علمية ، أو حين أعالج
مشكلة من المشكلات الخاصة أو العامة ، فإن الأدب ليس
محصوراً في دائرة العاطفة والخيال وما يتصل بهما ، ولكنه أوسع
من ذلك دائرة وأبعد أثراً . وقد أتى على الناس حين من الدهر
وهم يظنون الأدب حلية تراد للزينة وتستكمل بها مظاهر الترفه
فكانت قصور الملوك والأمراء وذوى اليسار كما تضم التمدن
والسقاء والجوارى والفنان ، تضم الشعراء والكتاب والقصاص
والرواة ، قصارهم أن يكونوا أداة لهو وتسلية تشرح بهم الصدور
وتنسى العموم . فلما ترفع الأدباء والشعراء عن تلك اللزقة قصنوا
إلى الأدب والشعر بالتركيم فصانوها عن التبذل في خدمة الأمراء
والثراء إلا قليلاً ، فأصبح الشاعر يقول ليرضى ذوقه الأدبي ،
وأصبح الكاتب يكتب ليصف بشعوره هو قبل أن يصف شعور
الآخرين ؛ وبذلك استقل الأدب ، وقال الأدباء والشعراء حريتهم ،
وانطلقوا يهيمون في جوف الصافي ، فيضمون بأحلامهم اللذينة ؛
لا يحبون أن يكبرها عليهم مكبر ، ولا أن يفسدها عليهم مفسد ؛

كتب إلى صديق من زملائي على عهد الدراسة كتاباً يقول
فيه : —

« إني مواظب على قراءة الرسالة بشغف واهتمام ، ولست
تكتب على صفحاتها مقالاً إلا قرأته لك ، وتنسمت فيه روحك ،
ونارت به في نفسي ذكريات محببة عن أيامنا الجميلة التي كنا نختلف
فيها إلى دروس الأدب والبلاغة يلقيها المرسى وعيارة والبطراوى
والأسكندري وغيرهم ، وتتجاذب فيها أطراف المحاوره ، وأهداب
الذاكرة ، وتساقي كثوس الشعر والنثر كأنها رحيق مختم .
وقد أذكر زميلنا الذى كان مولعاً — في كتاباته الإنشائية — برواية
أشعار التنسكين والمتزهدين ، وأتأ كتنا تنرب في الضحك إذا
سمنا أستاذ الإنشاء يقرأ طرفاً مما كتب ، ويحاسبه على أفكاره
العتيقة . وما لهذا كتبت إليك ، ولكنى أريد أن أحدث إليك
في أمر كثيراً ما هممت بأن أحدثك فيه :

أنت تعرف رأيي في أسلوبك الكتابي ومحوثك العلمية ،
وتعرف حيي لك وشديد غيرتي عليك ، فهل لي أن أسألك : لماذا
تنحو في اختيار موضوعاتك هذه التواحي الأزهرية فتتحدث عن
الفقه وأصول التشريع ودراسات الأزهر وأسلوبه في التفكير
وما يبنى له من علو ورفعة شأن ، ولا تراك تتحدث عن الأدب
والشعر وهما في هذا العصر أنشودة الشداة ، وأغرودة الحداة ،
وثقافة الثقفين ؟ لو كنت أعلم أنك تخرجت في علوم الشريعة
لقلت : رجل مشغوف بما درس ، معنى ياشباع نهمة العلم منه ،
ولكنك تخرجت في دواستك تخرج الأديب ، وبنت شهادة
التخصص في علوم البلاغة والأدب ، فكيف تجحد حقهما عليك
وتنسى فضلهما في تهذيبك وتنقيتك ؟ وهل تتجيب إلى الأدب
طلاباً ، وتتنكر له أستاذاً ، فتقطع به صلتك ، وترؤى عنه وجهك
وتنصرف إلى غيره مما ليس منه ولا يمت إليه ؟

ما هذا الذى أغرمت به ، ومالك عليك نفسك ، واستبد
بملك ؟ وأي فرق بينك وبين الزميل التنسك الذى أحدث إليه

الإسلام لكان لنا أن نؤمل دورة الفلك ، وأن نأخذ في تكميل أنفسنا ، وتصحيح أخطائنا ، والرجوع إلى قوميتنا استعداداً لما ينتظرنا . وهذه الشريعة الإسلامية هي الشريعة التي نلنا بفضلها أسباب السوء في الماضي ، ولم يجد أعداؤنا منفذاً إلينا ونحن متمسكون بها ؛ وحقه هذه الشريعة هو حق الحياة والعمل ،

هو حق العدل والرحمة ، هو حق الحضارة والمدنية في أبهى صور الحضارة والمدنية ؛ فإذا تكلم في شأنه المتكلمون ، ودعا له الكتاب ، وعرض الأدباء الماملون بعض صورته على الناس ، وخلصوه مما أضيف إليه واختلط به ، كل بمقدار ما يستطيع ، فإنهم لا يقومون في ذلك بواجب ديني فحسب ، وإنما يقومون مع ذلك بواجب قومي وطني لا مناص لأهل العلم والأدب جميعاً

من التماون على حمل أعبائه . ومثل ذلك يقال عن الأزهر : ينبغي أن يلتفت إليه أباؤنا ، وأن يكتب في شأنه كتابنا ، لأنه (جامعة الشرق) ، ووارث ثقافته ، وعنوان مجده ، ومعدن آماله !

إنك - يا صديقي - تقول لي في كتابك : « سوف تضيع

صيحاتك وصيحات غيرك في شأنهما هباء كما ضاعت من قبل

صيحات وصيحات » . وأحب أن أقول لك إنه لم يضع شيء

أبدأ ، وإن الذين صاحوا من قبل قد أثروا بصيحاتهم آثاراً بعيدة

المدى في العلم والتفكير والإصلاح . ويمكنك أن ترجع إلى عهد

الأستاذ الإمام محمد عبده ، لتوازن بين عقلية الأزهر للماضي

وعقلية الحاضرة في العقائد والفقه وأحكام الماملات والأحوال

الشخصية ، فتلس الفرق بينهما ، وتدرك أن صيحات هذا

المصلح الديني لم تذهب هباء .

ولقد كان الأستاذ الإمام محمد عبده أديباً رائع البيان ،

وكان له ذوق ممتاز في فهم الشعر والنثر ظهر أثره في تفسيره

لما فسر من القرآن ، فهل منته ذلك أن يؤلف في علم الكلام ،

وأن يفتي في الفقه ، وأن يشرع شبابة قله لتأييد دعوته

الأصلاحية الكبرى ؟

بل لقد كان الإمام الشافعي رضي الله عنه أديباً عاش في البادية

ونزل في هذيل ، بقي معها ما ألفت ، ورحل معها إذا رحلت ،

ويتعلم كلامها ، ويحفظ لغتها ، ويروي أشعارها ، حتى يبلغ من ذلك

شأواً بعيداً ، ولكنه لم يحمل هذا غرضاً ، وإنما اتخذ وسيلة

ولكنهم كانوا من ذلك في شبه غيبوبة عن الحياة العملية الثمرة ، لا يفتنون إلى صميمها ، ولا يُصنّون إلا بمحاشيها وأطرافها ، ورضوا بالفقر حليفاً ، وبالبؤس صاحباً ؛ وخیلوا للناس أن الأدب والفقر صنوان ، ورضيما لبان ! وأن الأدباء والشعراء هم وراث « أبي الشمق » في كل زمان !

أما في هذا العصر ، فقد تغيرت النُسل ، واستبدل الأدباء بنهجهم في الحياة نهجاً سواه : أصبح الأديب هو الذي ينفذ بقلمه وذوقه إلى دقائق العلوم ، ومعضلات الفكر والآراء . هو الذي يحل النواضع ، ويفتح المغاليق ، ويسر المسامير . ذلك اليوم هو صميم الأدب ، وقصارى الأديب ، وذلك هو الوضع الصحيح الذي ينبغي أن تقوم عليه العلاقة بين الأدب والعلم !

من ظن أن الأدب في هذا الزمان إنما هو أنشودة تنشد ،

أو أغزودة تردد ، أو خيال يسبح في جوه الماعون ، أو وصف

زهرة مشرقة ، أو طائر ضاحك ، أو عاشق ولهان ، أو قلب

خفاق ، أو عين باكية ، أو ثمر بسلام ، أو جمال فتان ، أو قد

ممشوق ، فقد ظن عجزاً !

إن ذلك من الأدب حقاً ، ولا يستطيع أن ينكر ذلك

منكر ، ولكنه اليوم ليس النُسل الأعلى للأدباء ، وإنما هو لون من

ألوان غفلتهم الروحي يشتهونه الفينة بعد الفينة ، وهو بعد ذلك

أقرب ثمرات الأدب إلى يد الأديب وأيسرها متالاً . أما العلوم

والعارف ؛ أما مشكلات الحياة وقضايا القول ؛ أما سهر الليالي

ومجاهدة الجنوب للمضاجع في سبيل التحصيل والتردد من زاد

البصائر ، فتلك هي الخلبة لمن أراد السباق !

أهينك بالله - يا صديقي - أن تستخف بأمر الفقه والأصول

وأسرار التشريع ، أو يقتل عليك القول في إصلاح الأزهر وتقوم

ميله ، أو يدخلك اليأس حين ترى الفناء مستشرياً ولطيف حاراً

إن الشرق الإسلامي قد استفاق من سباته العميق ، وإنه

يريد أن ينهض وأن يستعيد مجده السابق يوم كان مصدر النور

والمرقة ، بل يوم كان مصدر الهداية ومنبت الخير ، ولو تأملنا

بوابر هذه النهضة وتأملنا إلى جوانبها بوابر الانهيار ، بل عوامل

الدمار التي تعمل عملها السريع في إهلاك أعداء الشرق وخصوم

خواطر وصور

شبرها مرمدة من الطريق بين القاهرة وبغداد

[إلى الأستاذ المازني نوبق السؤال]

للأستاذ غفرى شهاب السعيدى

كانت مفازة رهيبة !

ولم يكن فيها من آثار الإنسان غير اثنين : هذه الأسلاك النحاسية المعلقة في الهواء على ركائز من الحديد الصابر اللتين : تبين ما طوى من الشقة ، وما ظل ينتظر الطي ؛ وهذا الطريق الأسود الطويل ... الذى لا تكاد تدرك العين والسيارة آخر ما يمس الأفق من تمارجه ومرقعاته ، حتى تتكشف أمام العين مناظر منه أخرى ، وحتى تبدى للسيارة منه تمارج وأطوال ... وكانت السيارة صابرة على هذا الأسود الممتد أمامها ، المازي بها ، الذى يمتحن صبرها بأعاجيب من عنده : فتارة يلتوى لها ، وأخرى ينحدر ؛ وطوراً ينحني أمامها ، وحيناً يستدير ... وهى لا تنبأ بهذا المازي المتحن ، بل تمضى قدماً ، وصوت شهيقها وزفيرها ، وقلعها الخافق ، ودملها الغالية ملء أسمع الركب الذين أسلموها القيادة في صبر واضطرار ! وكانت السامة قد تقشّتهم جميعاً مما يتدفق أمام عيونهم من مناظر الصحراء ، وما كانت هذه لتمدو الرمال والجلاميد ، والمضارب المالية والوديان الخالية ، وكل ما يمثل الموت والسكون والجود من آثار الطبيعة .

إلى علم أكبر ، وفضل أظهر ، ووقرت في نفسه كلمة الزبدي الذى لقيه في طريقه ، فتحدث إليه فوجده فصيح اللسان ، عبقري الذكاء ، فقال له : أيها الفتى ! يزع على ألا يكون مع هذه الفصاحة وهذا الذكاء قه تسود به أهل زمانك ! وقد أراد الله ذلك ، فإذا الشافى رجل من الرجال العالمين ، وإذا اسمه مسجل في سجل الخالدين !

أما بعد ، فياصديق العزيز : لا تلحنى ولكن أعينى

محمد محمد المرنى

للدروس بكلية العمرة

وما أشد صدوف الناس عما يذكرهم بمثل ذلك من آثار ! ... كان بعضهم يزجى فراغه بالحديث يرفعه عالياً ليغالب زئير السيارة الذى ملأ الفضاء والأسماع ، ثم لا يلبث - هذا البعض - أن تتبعه المثالبة فيستجد بالسكوت . وكان بعضهم يأكل ! نعم كان يقتل السامة بالأكل . وبعضهم كان يقرأ . وكنت أنا من بينهم وحيدى الذى طاب له أن يقصر عمله على اثنين : مطالعة هذه الصفحة الصحراوية ، الجليل خطها ، المذهب منها بفعل الرمال ، والمفضضة حواشيها بإطار الأفق الجليل ؛ والتحدث إلى نفسى والأخذ منها والرد عليها فيما كان يحضرني من أفكار ... وبين هذين العمليتين ، أو هذين الشاغلين - بكلمة أخرى - كان الوقت يمضى مسرعاً ، والسيارة تهب من الأرض كيلو متراتها نهياً ؛ وكنت وجدت في ذلك لى معة كان يحظرها على المجتمع لو أننى أضمت هذا الوقت فيه !

وعندى أن الأخذ من النفس والرد عليها ، ومحاورتها بألوان الأفكار ، ومناقشتها في ضروب من الآراء ، مما يرتاح الإنسان إليه - أو أنا على الأقل ، فأدري ما حال الناس غبرى - ولقد تمررت على في حال معينة وظرف بعينه لحظات أود لو أنى استطعت أن أكون من هذا المجتمع في نجوة لآتي تلك الصديقة الحبيبة ... التى هي نفسى ، فأجلس إليها وأداعها وأعابها وأحاورها ، وأسمعها وتسمعى في صنوف شتى من أبواب الجد المازل أو المزمل الجاد ! أما الصحراء هذه الصحيفة التى تنبسط أمامى جديدة من سفر الوجود ، فما كان أجملها ، وما كان أروع الجلال الذى كان يشع منها على النفس فيصغر من شأنها ، ويقال من تيهها ، وبذلك من كبريائها ، ويصغر جوهرها صغراً يصفيه ويظهر الأعراق

كم من البشر - قبلنا - مروا بك أيها الصحراء ؟ وكم ركبا قبل هذا اتحم مفازك هذه ، قه منه نفسه ، واعتماداً منه على قدرته ، واتكالاً على ما أوتى من علم ؟ وكم منهم نجبا ، وكم كان في المالكين ؟ لم أجيئ من أسرك فريقاً ؟ ولم اقتنصت فريقاً ، فأطبقت عليهم في غير شفقة ولا رحمة ، ولا ذكر لدويهم الذين استودعوك قلوبهم وأثمنوك عليها قه منهم بعدك فإذا أنت تضعين الثقة وتخلين الرجاء !

كم - أيها الصحراء - فيك من قوافل تسمع ولا تجييب ، وتحتمل وطناً لماها ولا تثنى ؟ لم لا تطلقين هؤلاء من أغلالهم ،

وتردبهم إلى أهلهم فتكسب جهم وشكرهم وتقهم ، ونمودون
— أنت وهم — بعض لبعض أجباً ؟ ألا تعجبك أيها
الصحراء صداقة الإنسان ؟
يا لله !

ما لها لا تحير جواباً ! لعلها كانت تنطق فلا أسمع وترفع
بالإجابة صوتها فتلقاه أذن دويلاً لا تستطاع آدميتي فهمه
واستجلاء معانيه !

وعدت أنظر إلى هذه التلال ثانية فإذا هي قد عمت وكبرت
وتفصخت حجارتها واشتدت صلابتها وأيداً ؟ وقد علمت
— حين سألت عن السر — أننا شارفنا أرض فلسطين !
فالتيقية إذا تلبس لباس وقارها وحشمتها لتدخل الأرض المقدسة
أرض المعاد ! فما بالنا نحن — البشر — لا نلبس لهذه الأرض
المقدسة لباسها كما فعلت الأرض ذاتها ، ولا نحيطها بإطراح ضرورتها
ونبد ما ران على قلوبنا ، كما تصنع هذه الجلاميد ؟ ولقد هممت
أن أقوم احتراماً ، بل لقد قبت فعلاً ، فما راعني إلا أن أجلسني
السيارة المنطلقة في عنف ، طالبة أن أكف عن الاسترسال
في هذا الخيال وأنصرف منها إلى ما هي فيه من جد وكد عنيف !
ولم تلبث بين هذه الجلاميد إلا ساعة أو نحوها حتى تبدت
الأرض في حلة من وشى جديد ، تختلط فيه خضرة العشب
النفى بسواد الصخور العم ، فكان الطبيعة قد أرادت بهذا
الجمع بين التقيضين أن تبي. بالبرهان القاطع على أنها لا تعرف
هذا الذي تواضع الناس عليه من فصل بين شتى مظاهرها في هذا
الكون الذي هو معرض الاتساق !

وكان جليلاً أن يرى ما كان يحسبه الإنسان من هذه الصخور
الجرد مثلاً للقسوة وتخالل الجمود ينشئ الحياة الفضة لإنشاء
ومخرجها أعشاباً طرية من بين الفرجل الصغيرة التي فيه ،
ويجمع لها في هذه الشقوق للماء الذي تحتاج إليه لترتاح له وتأنس
بالقام عنده وتطمئن — في ضمان حياتها — إليه .

وكانت الجبال على أتم صلة ببعضها ، فلا يفصل بينها شيء
إلا صيفته بصباغها الأجوى ، وعلمته كيف ينساق لمشيئتها في غير
تردد ولا بطء : فالجداول الصغيرة ، والوديان الفسيحة ، وهذا
القليل من رحب الأرض للتبسط ، وغارم الجبال ذاتها أيضاً ،
كل أولئك كان طامساً لتلك الجبال يصل ما بينها ليظهرها أمام
العين بظهر واحد يتم على الألفة للتينة والوداد الجليل .

وكانت هذه المشاهد التي تطنى على القلب والعقل ، فتملاً
ذاك غبطة وتريد هذا إعاناً بالعجز أو سدوراً في الضلال ، جديدة
أمام عيني ؛ وكان كل واحد منها جديراً بأن أطيل النظر فيه
لتتعارف ، ولكن السيارة كانت تأتي ، وحسبت أن ذلك
قد يطول منا فتمتاقها عما هي وراءه من هريب الشقة أمام هذا
الركب الضجر الملول . وجدة المشاهد أمام العين تذكر بعهد
الطفولة حين يخرج الواحد منا من ظلمات الأذية إلى هذا النور
الديني — أو الذي نسميه نوراً وما ندري من أمره حقيقة
ولا ندرك كنهها — فكل ما تقع العين عليه جديد للذيد ، يبعث
الفضول ويرهف الحس ويصب على الفكر وإبلاً من الأسئلة
الخالدة التي تطوف في فكر كل ذي فكر ؛ ثم لا يلبث المرء
أن تسيه الإجابة فينزل عند حكم المشيئة التي أرادت له مثل هذه
الحواس المحدود إدراكها ، ومثل هذه القوة المائلة التي يسرع التعب
إليها قبل بدتها في البحث عما هي وراءه من استكشاف المجاهيل !
وتنبهني هذه الخواطر إلى ما للجبل من فائدة وفضل على
الناس ، وأذكرني هذا بالنظرية التي تقول : إن كل شيء خير
في الطبيعة إذا وُضع في موضعه وأُحل في المكان المناسب له .
فالجبل مثلاً — وهو موضوعنا — يثير فضول القوى المائلة لدى
الناس ، ويقعد أمامهم مشاكلاً عويصة يعالجون حلها ، فكثيراً
ما يضلون وقليلاً ما يهتدون . ولكنهم — وعلى أية حالة كانوا —
تفيض السعادة والراحة على قلوبهم حين القصور ، وحين البلوغ
على حد سواء !!

وأذكر أني كنت ذات مرة في زيارة لخرائب بابل ، وكنت
وتتشاك صيلاً بحسب العلم وفقاً على المستن . فسألت أحد الأدلاء
— وكان شيخاً — وكان جاهلاً أمياً — عما صير هؤلاء
الآدميين الذين كانوا مثلنا من لحم ودم — حجارة ! فأجاب
أو أجابت بديته — فما كان عنده عقل يجيب — : غضب الله !
وقد ظلمت أعتقد بصحة هذه الجملة التي انطلق بها لسان دليلي
العامي حتى دخلت للمدرسة فسلمت غير هذا ، وويعيت في حافظتي
كلاماً غير كلام الدليل ، علمياً منطقياً ، تقوم على تأييده والبرهنة
على صحته حجج قواطع . فاستنخفت ذلك الساذج ، واستنخفت
نفس ذلك الطفل الذي لم يحاكم القول الذي سمع ؛ ولكنني أشهد
الله (تعالى) ، على أن نفسي اليوم لا تستطيع معنى أحلى ،
ولا جملة أبلغ ، ولا فلسفة أعلى مما انطلقت به بديهة الرجل

من أدب القرون التاسع

كتاب « سحر العيون » للأستاذ أحمد يوسف نجاتي

كنت منذ حين قرأت حديثاً للأستاذ أحمد بك أمين يمرض فيه « كتاب سحر العيون » عرضاً شائعاً — والكتاب مطبوع قديماً بدون أن يذكر في أوله اسم مؤلفه — ورأيت الأستاذ يقول في هذا المقال القيم : من الأسف أني لم أعر على اسم مؤلفه . ولكنه في ثنايا الكتاب يقول : « أنشدني صاحبنا الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر القادري ^(١) المولود سنة ٨٢٤ . فؤلف الكتاب إذاً — من أدباء القرن التاسع الهجري — والظاهر أنه مصري لأنه يروي لنا في ثنايا الكتاب أحداثاً مصرية وأمثالا غامية مصرية »

(١) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن عمران بن نجيب بن عامر أبو الفضل الأنصاري الأوسي السدي المصري القادري الشاعر المشهور . جزم في نظمه أنه ولد في سنة ٨٢٠ في جهة دشايط ، كان أديباً شاعراً مجيداً . أنشد له البدرى في ص ٢٨٥ ، ٣٠٢ من كتابه ، وتوفي في أوائل القرن العاشر . وسنعرض لترجمته وتقدم شعره ومرض كثير منه

الجهول ! ! هل ترى العالم النقيب الفاضل حين يدخل خرائب البابليين يعمُرُ صدره بالإيمان ، وترتفع روحه إلى أجواء من السعادة العلوية ، وتملكه الروعة والجلال كهذا الدليل الجاهل الأعمى الجواب عندي « لا » ! !

لأنني من المؤمنين بأن للجهل نفعا ، وأن شأنه في هذا شأن كل ما أبدعته الكفُ الصناعات الخائفة الجليلة في هذا الكون الجليل ... وهنا بانت لنا عن بعد دائرة جوازات السفر على الحدود الفلسطينية فأبدلتنا بأفكارنا غيرها ، وتبددت هذه الأخيلة وكان ما كان ...

فإني الأستاذ الازني الجليل نسوق سؤالاً عن نفع الجهل ؛ فقد كان حديثنا بحديث من ذلك قبل سنين . فإن رأى - أطال الله بقاءه - وجلنا من كل سوء فداء - ألا يخل بهذه الآراء على قراء (الرسالة) فعل وله منا ومنهم ألف شكر !

نرى شهاب العبيدي

فأسفت لأسف الأستاذ ، وأردت أن أكتب ترجمة طويلة لهذا المؤلف تكشف الحجاب عنه ، وأن أعرض ما أعرفه من مصنفاته عرضاً دقيقاً وأحاطه تحليلاً أدبياً مسهباً . ولكن عدت دون ذلك عواد صارفة لا قبل لي بها ، وحالت دون عوائق شاغلة لم يكن أمر نفسي معها يدي . وطال الأمد على ذلك حتى أنسيت ما كنت قد عزمته عليه ؛ وشغلتنى أعمال كثيرة بغيره ، إلى أن سألني اليوم أحد الطلبة الأدباء عن مؤلف هذا الكتاب ؛ فذكرني بما كنت قد نسيت ؛ ورأيت أن أنهت هذه الفرصة السانحة فأسفف طلبته بهذه الكلمة الموجزة التي أحررها على عجل . وفي العزم إن شاء الله أن أبسط القول في ترجمة هذا الأديب وترجمة شيوخه وأصحابه ومعاصريه الذين تربطهم به صلة وثيقة كان لها أثر بين في أدبه ؛ وأن أطيل الكلام في الأدب المصري والشامي في عصر المماليك عامة وفي القرن التاسع خاصة . وأرجو أن تقسح لي مجلة « الرسالة » القراء صدرها ففهمي بها مجلة الأدب الرفيع وحلبة ميدانه التي تجول فيه أقلام فرسانه من الكرام الكاتين

١ - لقد دل مؤلف « سحر العيون » على نفسه في نحو عشرين صفحة من كتابه ، ونادى باسمه (البدرى) فيه كثيراً حتى ينجح صوته . وكأني به في ص ١٨٨ قال : « من عرفني فقد اكنني ، ومن لم يعرفني فأنا جامعه البدرى عني عنه ، مولده في عشية الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول من شهر سنة سبع وأربعين وثمانمائة » وسنعرض بعد لسائر الصفحات التي صرح فيها باسمه ، وتناول شعره فيها وفي غيرها بالنقد والتحليل

٢ - للبدرى مؤلف « سحر العيون » كتاب آخر اسمه : (نزعة الأنام في محاسن الشام) طبع بمصر بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤١ هـ صدر عنوانه في أول صفحة منه بما يأتي :

« نزعة الأنام في محاسن الشام ، تأليف أبي البقاء عبد الله ابن محمد البدرى المصري المشرق من علماء القرن التاسع (وولد سنة ٨٤٧) صاحب الديوان المشهور ، وتاريخ « تبصرة أولى الأبصار » و « سحر العيون » هـ . وقد دل المؤلف أيضاً على نفسه في هذا الكتاب في كثير من صفحاته ، وموعدها بالكلام في هذا الكتاب وسواه قريب إن شاء الله .

الصباح في وصف الوجوه الصَّباح « وقرظه له الشعراء فأبلغوا ، وكان من أعيانهم البرهان الباعوني وأخواه ، والشهاب الحجازي ، والمنصوري ، والقادري ، وابن قرقاس . وقال إنه ألفه بدمشق سنة ٨٦٥ ، والنس من قريضه فأجبتة وكتبت له إجازة حسنة ، وامتدح قضاة مكة وغيرهم ، وليس نظمه بالطائل ، ولا فهمه بالكامل . وكتبت عنه من نظمه :

إذا ما كان مجموعي لديكم من الدنيا بهذا قد قنعت
وما قصدي سوى هذا وحسي بأن في يديك وما جمعت
وكان يتكسب بالتجارة ، وربما جلس بمناوت بمكة في الموسم .
تتلل بمكة مدة وسافر منها وهو كذلك في أوائل المحرم سنة ٨٩٤ في البحر فوصل إلى الطور ثم غزاة فأدركه أجله هناك في جمادى منها . وبلغنا ذلك في شوال — عفا الله عنه — وترك ولدين أو أكثر وتركه ، وأظن والده في الأحياء . عفا الله عنه ولما « اه إنيته ترجمة السخاوي . وهو معروف بأنه قد يتحمل علي بعض معاصريه ، ويقدفهم بمبارات تهكم لازعة وقوارص من الكلم تنطوي على سخرية مريرة ، بداعي المنافسة والمصارعة والازدحام على منهل عذب واحد . وقد قال فيه معاصره (ابن إلياس) في كتابه « بدائع الزهور » : « إنه ألف تاريخاً فيه كثير من المساوي في حق الناس » . وأنشأ معاصره (جلال الدين السيوطي) مقامة من ضمن مقاماته سماها « الكاوي في رد تاريخ السخاوي » شنع عليه فيها ... يقول فيها : « ما ترون في رجل ألف تاريخاً جمع فيه أكابر وأعياناً ، ونسب لأكل لحومهم خواناً ، ملأه بذكر المساوي وتلب الأعراض ، وفوق فيه سهاما على قدر أغراضه والأعراض هي الأغراض . وجعل لحم المسلمين جملة طعامه وإدامه ، واستغرق في أكلها أوقات فطره وصيامه ... » والمقامة مخطوطة محفوظة بدار الكتب الملكية تحت رقم ١٥١٠ . فينبني للنصف أن يقف أمام بعض تراجم السخاوي موقفاً محايداً مهروباً

ونحن بعد هذا نشرح ما يحتاج إلى الشرح والتبيان . من ترجمة علم الدين السخاوي لأبي بكر البدرى ، ونشفع ذلك بنقله ونصل القول إلى ما وعدنا به من ترجمة حياة هذا الأديب ترجمة ضافية و ترجمة أدياء عصره وأقرانه وشيوخه وأصحابه ، ونكشف الكنقاب عن الأدب المصري في القرن التاسع بل في عصر الماليك عامة بلادن الله

٣ — وفي فهرس الكتب العربية لدار الكتب الملكية بالجزء الخامس المشتمل على فهرس التاريخ في ص ٣٨٧ ما نصه : « زهرة الأنام في عاين الشام ، تأليف أبي البقاء عبد الله ابن محمد البدرى المصرى المسمى من علماء القرن التاسع ، ولد سنة ٨٤٧ (وكتب سنة ٧٤٧ غلطاً) ، وهو صاحب الديوان المشهور والتاريخ السمي : « تبصرة أولى الأبصار في اقراض العمر بين الليل والنهار » ، « سحر العيون » . الخ

وإني أنصح لمن يعنى بالأدب وتاريخه أن يطلع على فهرس دار الكتب ، فإنه يثر فيها على فوائد جمة ويهتدى إلى مراجع قيمة في اللغة العربية وآدابها وتاريخها . وفي كشف الظنون (زهرة الأنام في فضائل عاين الشام) لأبي البقاء عبد الله ابن محمد البدرى المصرى المسمى الشافى

٤ — وأبين مما تقدم ترجمة علم الدين السخاوي في كتابه (الضوء اللامع) مؤلف « سحر العيون » . ونحن ننقل هذه الترجمة بنصها ، ونشفعها بشرحها وهذا . قال : « أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله تقي الدين بن الجلال المسمى القاهري الشاعر الوفاي ، ويعرف بابن البدرى ، ويكنى أيضاً أبا البقاء ، ولد في شهر ربيع الأول سنة ٨٤٧ بدمشق ونشأ بها ، وتكرر قدومه مع أبيه للقاهرة ثم قطعها مدة ، واشتغل بالبلدين قليلاً . وكتب عن خلق من الشيوخ فن فوقهم . وتمايى الشعر ومدح وبها وطارح . وتردد إلى فأخذ عني ومدحني فيما كتبت في موضع آخر ، وفيه :

جد لي مريضاً بالحديث إجازة يا كاملاً دُم وافر الإعطاء
وانتمى لبني الشحنة وتكسب بالشهادة وبالتسخ . فلما ولي الأمشاطى عمل فيه أحياناً فلم يقابله عليها ، إلى أن تعرض لبرد الرزاق للقلب عجين أمه تزيل القاضى في البروقية ونسبه لأمر فظليع الله أعلم بصحته ، فبادر لتطلبه فلم يقدر عليه ، فصرح بمنته من يحمل الشهادة فلم يلبث إلا يسيراً . وماتت له زوجة فورث منها قدراً طاملاً بعد قرره فلم أطرافه وسافر لمكة فجاور ثم قطن الشام ، ثم جاور بالمدينة سنة ٨٩٢ وكتب فيها من تصانيف الشريف للسهودي وغيره ، ثم جاور التي طلبها سنة ٨٩٢ بمكة ، وكان يجتمع على بها ، وكتب من تصانيفي مجموعاً ، ولازمى في التحصيل رواية ودراية . وأوقفني على مجموع سماه « غرر » (١)

(١) قال في كشف الظنون « غزاة الصباح في وصف الوجوه الصباح ، — والاسم محرف هنا — للشيخ تقي الدين أبي بكر البدرى المسمى ثم المصري . أوله : (أما بعد حمد الله الذي الخ ربه على سبعة عشر باباً) اه

المحاضرة ، قوى البسيطة . قال القرزى : ولقد قام مقاماً عجز أقرانه عنه ، وتجب أهل زمانه منه ، وذلك أن الطاغية تيمورلنك لما استولى على مدينة حلب ٨٠٣ وتسلم قلعها بالأمان بعد أن استحرّ القتل والأسر في أهلها ، صعد إليها وجلس في إيوانها وطلب القضاة والعلماء للاقائه فامتثلوا أمره . وكان من عادة أنه إذا فتح مدينة يعقد مجلساً لمناظرة علمائه وإعانتهم ، وكأنه يريد أن يريهم أنه على حق في عمله ، ويصيح فظائمه المروعة صينة شرعية . واتفق هؤلاء العلماء فيما بينهم أن يتولى القاضي ابن الشحنة الإجابة عن الأسئلة التي يوجهها تيمور إليهم فقه بحذقه وحسن تصرفه . وكان للطاغية إمام من جلة المعتزلة هو القاضي عبد الجبار بن عبد الله الخوارزمي الحنفي ولد سنة ٧٧٠ وتوفي سنة ٨٠٥ وكان عالماً قديراً بارعاً متقناً لعلوم الدين واللغة والأدب ، يجيد اللغات العربية والفارسية والتركية ، وكان ذا ثروة طائلة وجاء عظيم ومنزلة رفيعة لدى تيمورلنك حتى انتهت إليه الرئاسة في أصحابه . وكان يصحبه معه في غزواته لمناقشة العلماء ومناظرتهم وليكون حلقة اتصال بالترجمة بينه وبينهم . وقد كان القاضي عبد الجبار رحمة للمسلمين ، طالبا أفتدّم من غضب الطاغية وسخطه ، وأطفا عنهم نار ثورته وحدته . وكان ربما تبرم من صحبة تيمورلنك في نفسه ولكن لا يسمعه مخالفته مع ما يرجو في ذلك من ثواب فقهه لئلا يلقى هذا الطاغية وكف شره عنهم .

عقد تيمور المجلس وأخذ يوجه إلى العلماء الأسئلة بواسطة إمامه ، وابن الشحنة يجيب عنها بلباقة ، فكان من ضمن هذه الأسئلة أن قال لهم : أي الطائفتين من القتل هو الشهيد ، أمن قتل منكم أم من قتل منا ؟ وقد كان هذا السؤال محرّجاً لولا ضلالة القاضي ابن الشحنة ؟ فقد أجاب قائلاً : لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك فأجاب : فإنه وقد إليه أعرابي وسأله : يا رسول الله ، إن الرجل ليقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأينا في سبيل الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد في سبيل الله ... فراق تيمورلنك هذا الجواب وأحسن إلى ابن الشحنة ، وأعجب بدهائه وحسن تخلصه ولطف احتياله وسرعة بديته ، وجعل يؤانس العلماء ويلطفهم ، ووعدهم العفو عنهم حتى أفرخ روعهم ، وأقبلوا يجيبون على أسئلة تيمور بما عندهم ، وكان آخر ما سألهم عنه أن قال : ما قولون في علي ومعاوية ويزيد ؟ وما الحكم في قتال

١ - أما بنو الشحنة الذين انتمى إليهم البدرى فهم من أسرة شامية من مدينة حلب كريمة الأصل والحسب ، عريقة في العلم والأدب . وقد تقلدوا كثيراً من الوظائف العلمية والدينية بالشام ومصر من قضاء وإفتاء وخطابة وتدرّس . وكان لبعضهم أثر في الحركات السياسية في ذلك العصر ؛ وخدم الأعلى «محمود» من أصل تركي وهو الملقب بالشحنة لأنه كان شحنة مدينة حلب (وشحنة البلد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان) ، فعفى وظيفه كأنها وظيفة (الحكمدار) الآن .

ومن أقدم من عرفت من بنى الشحنة :

١ - كمال الدين محمد بن محمد بن محمود (الشحنة) بن غازي ابن أيوب ، كان من فضلاء زمانه متقناً لعلوم الدين واللسان ، واشتغل بالتدرّس والقضاء ونشر العلم وإفادته . وتوفي بمدينة حلب في شهر ربيع الأول سنة ٧٧٦ .

٢ - وابنه أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمود ولد سنة ٧٤٩ بحلب ونشأ بها في كنف أبيه وارتحل إلى دمشق والقاهرة للأخذ عن علمائها . وارتحل مرة أخرى إلى مصر سنة ٧٧٧ بعد وفاة والده فظهرت بها فضائله فولاه سلطانها قضاء ببلده حلب سنة ٧٧٨ فلبث بها حيناً يتقلب بين الولاية والعزل حتى فصله السلطان برقوق سنة ٧٩٣ فعاد إلى القاهرة وأقام بها نحو ثلاث سنين ، ثم توجه إلى بلده وشغل نفسه بالتأليف وإفادة العلم ، ثم ولي قضاءها سنة ٨٠٩ ، وبعد حوادث عاد إلى القاهرة معزولاً عن عمله فولى بها عدة وظائف في التدريس ، ثم عاد إلى وطنه حلب فتوفي بها في شهر ربيع الآخر سنة ٨١٥ وكان نابغة في علوم اللغة والدين والأدب والتاريخ ، وله مؤلفات مفيدة ذكر منها في كشف الظنون كتاب (أوضح الدلائل والأبحاث فيما يحل به المطلقة بالثلاث) و (روض المناظر في علم الأوائل والأواخر) انتهى فيه إلى سنة ٨٠٦ ؛ وبتدار الكتب المصرية نسخة منه مخطوطة في مجلد فرغ كاتبها منها آخر شوال سنة ١٢٩٧ هـ نقلها عن النسخة الخطية بخط أبي الحسن علي بن حسن بن علي ابن احمد السروى الأزهرى ، انتهى من كتابتها في شهر شعبان سنة ٨٧٣ وهى منقولة عن نسخة بخط القاضي محب الدين أبي الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشحنة ولد المؤلف ، أتمها كتابة في شهر رمضان من سنة ٨٢٥ .

وكان عاقلاً ذكياً دمث الأخلاق ، جلي النادرة ، لطيف

في منحني الأضلع وادي النضا . وفوق سفح الحد وادي العقيق
هذا وقد كان أبو الوليد بن الشحنة محدماً . وعمن مدحه
الجمال عبد الله بن محمد بن زريق المعري ثم الحلبي . ولد سنة ٧٧٥
بالعرة ونشأ بها ثم قدم مدينة حلب فاشتغل بها وتوفي سنة ٨٢٧
وكان فاضلاً أديباً فاضلاً نازلاً محسناً ... قال فيه قصيدة مطلعها :
لم أدرك أن طي الأخطار والهرب أمضي من الهندوانيات والقضب
٣ - وأبو الوليد هذا كان يكنى بـابن له اسمه الوليد كان
آية في الذكاء أديباً فاضلاً نازلاً . توفي شاباً في حياة أبيه حوالي
سنة ٨٠٤ هـ

٤ - وأخوه فتح الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمود
ولد سنة ٧٥٣ بحلب ونشأ بها . وأخذ عن أبيه وأخيه وغيرهما .
وقدم القاهرة غير مرة . وتلب عن أخيه في قضاء الحنفية بحلب
وكان ذا حشمة ومروءة وعناية بالأدب . وله نظم قليل منه :
يا سادق رفقاً رقة نازح لفظته أيدي البعد عن أوطانه
والله ما جلت مخاطر عبدكم إلا وقاض اللع من أجفانه
(يتبع) أحمد يوسف نجاة

الأستاذ بكلية اللغة العربية

على معاوية ؟ وهل يجوز لمن معاوية وإينه ؟ فأجاب القاضي علم الدين
القصبي : محمد بن ناصر الدين محمد بن محمد الممشقي (١) قائلاً : إن علياً
اجتهد وأصاب فله أجران ، ومعاوية اجتهد وأخطأ فله أجر واحد .
ففاظ ذلك الجواب تيمورلنك وأهان العلماء وسب أهل حلب ،
ورماهم بأنهم يزيديون ينفضون أهل البيت وشيعتهم ، فتدارك
ابن الشحنة الأمر بلطفه وقال : إن القاضي علم الدين أجاب بما
وجده في كتاب لم يعم في معناه والفرض منه . فأعجب ذلك
الطائفة ، وسكت عنه للنصب . وأجاب القاضي شرف الدين موسى
ابن محمد بن محمد قاضي حلب المتوفى سنة ٨٠٣ بأن معاوية لا يجوز
لعله لأنه صحابي ، فثار الطائفة وسب العلماء ، ولولا أن القاضي
شفع ذلك بقوله : إنه رأى حاشية على بعض الكتب بأنه يجوز لمن
يزيد ، ولولا أن الطائفة كان قد وعد بالعمو ، ولولا حسن وساطة
القاضي ابن الشحنة ، للاق العلماء يومئذ من تيمور شراً مستعيراً
هذا ، ولابن الشحنة ترويضه ليس على الطبقة ، بل هو
كشمر الكثير من أبناء عصره

ومن ذلك قوله :

كنت بمقتض التيش في رقة مستدل القامة ظلي ظليل
فاحتوب الظهر وما أضلي تبت والأعين مني تسيل
ومنه :

ساقى للدام دغ اللدام فكل ما في الكأس من وصف اللدامة فيكا
فصل للدام ولونها ومذاقها في مقلتيك ووجتتيك وفيكا (٢)
ومنه :

أسير بالجرح أسيراً ومن همي لا أعرف كيف الطريق

(١) قال عنه في شذرات الذهب : إنه عن طلب العلم في كبره ودار
في الدروس واشتغل كثيراً ، لكن مع قصور فهم وقلة عقل وعناية بالعلم .
ولي قضاء دمشق إحدى عشرة مرة في مدة ٢٥ سنة أولها سنة ٧٧٩
وول قضاء حلب وحلة مراراً ، وكان خفياً ، وأصيب في الرقة للكبرى
بعله ، وأسرت له ابنة ، وتوفي سنة ٨٠٥ .
(٢) أخذ هذا المتن وقصر فيه من قول ابن حيوس أبي التينان محمد بن
سلطان بن محمد بن حيوس أحد الشعراء الثامنين المجيدين ، ولد بدمشق
سنة ٧٩٤ وتوفي سنة ٤٧٣ :

وهذه بيتي التديم بوجه من كآس اللآلئ وعن إبريقه
فصل للدام ولونها ومذاقها في مقلتي ووجتتي وورقه
وكلا الشاعرين عن الجناس والف والشر ، ولكن للتقدم فضل سبق
ولادة السبك . ويحيا ابن الشحنة الأخيران مشعوران براعة النظم والتوجيه
بأحما بعض الأماكن

اعلان

وزارة الزراعة

تقبل العطاءات بإدارة المحازن
والمشترقات بالحق لغاية ظهر يوم ٢٩ ابريل
سنة ١٩٤٢ عن توريد (١) زجاجات
فارغة (٢) أقراص جريد (٣) سبلة وزيل
حلم وسجاد بلدي لأقسام الوزارة . ويمكن
الحصول على الشروط واللواصقات من
الادارة للذكورة يومياً ماعد المطالات
الرسمية مقابل دفع مبلغ ٣٠ ملياً أجرة
البريد وذلك من كل مناقصة ٩٢٠٤

٣ - ابن خرداداذبه

للأستاذ كوركيس عواد

لقد تطرق غير واحد من الكتبة والمؤلفين الأقدمين إلى ذكر هذا الكتاب، والكشف عن محاسنه ومساوئه. من ذلك ما حكاه المسعودي^(١) بشأنه، نوره هنا استتماماً للموضوع، وإظهاراً لرأى مؤرخ وبلداني جليل، ارتآه في كتاب ثمين تتداوله الأيدي في يومنا. قال المسعودي:

« وقد ذكر عبيد الله بن خردادذه، في كتابه المترجم بالممالك والممالك، أن الطريق من موضع كذا إلى كذا مقدار كذا من المسافة، ولم يخبر من الملوك والممالك، ولا فائدة في معرفة المسافات والطريق، إذ كان ذلك من عمل الفتوح وحمل الخرائط^(٢) والكتب. وذكر أيضاً أن خراج طاسيج^(٣) العراق كذا وكذا من المال، وهذا ما ينخفض ويرتفع ويقل ويكثر على حسب^(٤) الأحوال وتصرف الأزمان، وإن جيل المرسج^(٥) التي بين مكة والمدينة متصل ببلاد الشام، إلا أن وصله بالجليل الأفرع من بلاد أنطاكية وإن ذلك متصل بجليل الآكام^(٦)

- (١) مروج الذهب (٢: ٧٠ - ٧٢ طبعة باريس). وقد اختصر الحاج خليفة هنا الرأي في كشف الظنون (٥: ١١١ طبعة فلوجيل)
- (٢) الخرائط، مفردا الخريطة: وعاء مثل الكيس، من آدم أو خرق، يصرج على ما فيه من كتب ودراميم بها إلى الممال (أنظر: تاج الروس ٤: ١٢٨، ومفاتيح العلوم للخوارزمي (س ٦٤ طبع لبنان)
- (٣) الطاسيج، وأحداه الطموح، بفتح الطاء ووردت بعضها: لفظة فارسية بمعنى الناحية؛ وأكثر ما تستعمل في أرض السواد من العراق. وقد قسموا سواد العراق على ستين طسوجاً (أنظر: معجم البلدان ١: ٤١١ طبعة ويستفيلد، وتاج الروس ٢: ٧٠، والألفاظ الفارسية للمرة لأدي شير ١١٢، والحزاة الشرقية لطبيب زيات ١٥٥-١٥٦)
- (٤) في كشف الظنون: على حسن. وهو تحريف
- (٥) تجد تفصيل ذلك في الصفحة ١٧٤ - ١٧٣ من الممالك والممالك
- (٦) يعرف أيضاً بجليل السكلم

هذا عجيب من قوله، أما تراه علم أن أجزاء الأرض مماسة بعضها لبعض، متصلة غير منفصلة ولا متباينة مما بين بعضها ببعض إلا أن الأرض ذات وهاد وأجاد وحلب. على أنه أحسن كتاب في هذا المعنى ١٥٨. أو قوله الآخر^(١) في هذا الكتاب:

« ومن كتبه^(٢) النفيسة، كتابه في المسالك والممالك، وغير ذلك مما إذا طلبته وجدته، وإن تققدته حمدته أو قوله الثالث^(٣) في هذا السفر عينه:

« ... وقد صنف أحمد بن الطيب السرخسي^(٤)، صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي، كتاباً حسناً في المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها؛ وكذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني^(٥)، وزير نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد ابن أسد صاحب خراسان، ألف كتاباً في صفة العالم وأخباره، وما فيه من العجائب والمدن والأمصار والبحار والأنهار والأمم ومساكنهم، وغير ذلك من الأخبار الحسنة والعصص الطريفة؛ وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خردادذه في كتابه المعروف بالممالك والممالك، وهو أعم هذه الكتب شهرة في خواص الناس وعوامهم في وقتنا هذا »

وقد أشار ابن حوقل إلى هذا الكتاب إشارة خفيفة بقوله^(٦): « ولا يقارب هذا التأليف عنده (عند قارى الكتاب أو الناظر فيه. والكلام هنا على كتاب صورة الأرض) كتاب الجيهاني ولا يوافق رسم ابن خردادذه ... »

- (١) مروج الذهب (١: ١٣ طبعة باريس)
- (٢) الضمير يعود إلى ابن خردادذه
- (٣) التنيه والاشراف: س ٧٥ طبعة دي غوى، أو س ٦٥ - ٦٦ طبعة مصر
- (٤) لم يصل بنا نياً شيء من هذا الكتاب
- (٥) كتاب الجيهاني للوسوم أيضاً بالممالك والممالك، من المصنفات الصائفة في وقتنا. والكتبة الأقدمين آراء وأقوالاً طريفة فيه، لا مجال لذكرها هنا.
- (٦) كتاب صورة الأرض [الممالك والممالك] لابن حوقل « الطبعة الثانية التي نشرها كرمز J. H. Kramers في لندن سنة ١٩٣٨، س ٥٥ »

والسمودي^(١)، وأبا الریحان البيروني^(٢)، وياقوت الحموي^(٣)،
والشريف الإدريسي^(٤)، والمقرئ^(٥)، والقلقشندي^(٦).

أما ابن خرداذبة نفسه، فقد وجدناه ينقل أحاديث عن بعض
معاصريه من ذلك قوله (المسالك والممالك ص ٤٨)؛ وخبرني الفضل
ابن حروان، والفضل هذا رجل من أهل البردان بالعراق استكتبه
المتصم وبلغ مقاماً رفيعاً في الدولة، ثم تقلبت به الأحوال بين
صعود وهبوط، فذكر الطبري^(٧) أن للمتصم غضب عليه
سنة ٢٢٠ وحبسه، ثم ذكر^(٨) أن التوكل عزله سنة ٢٣٤ عن
ديوان الخراج، وحكى في مكان آخر^(٩) أن المستعين عزله سنة
٢٤٩ هـ عن ديوان الخراج

ومما أشار إليه ابن خرداذبة في قوله هذه العبارة ص ١٠٦:
لحدثني محمد بن موسى، وعبارة ص ١١٤، وحدثني أبو بكر بن عمر
القرشي وعبد الله بن أبي طالب القرشي من كورة تونس بالمغرب
قالا. وقوله ص ١٦٢ - ١٧٠ لحدثني سلام الترمجاني، وقوله ص
١٨٠ - ١٨١ وحدث أبو الفضل راض بن الحارث بن أسد،
وقد ذكر الطبري أباه الحارث بن أسد في غير موضع من تاريخه^(١٠)
وقد يعتمد ابن خرداذبة أحياناً إلى إغفال من ينقل عنهم والاكتفاء
بالقول ص ١٧٨: وحدثني بعض من أتق به، أو ص ١٨١ وحدثني
حدث أنه ...

ولابن حوقل كلمة ثانية بشأن هذا الكتاب، إلى القساري
نصها^(١١): «وكان لا يفارقي كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهاني
وتذكرة أبي الفرج قدامة بن جعفر. وإذا الكتابان الأولان قد
لزمني أن أستغفر الله من حملهما واشتغالي بهما عن ما يلزمي من
توخى العلوم النافعة والسفن الواجبة ...»^١

ومن الآراء الطريقة التي وقفنا عليها يصدد هذا الكتاب،
ماحكاها البشاري المقدسي بقوله، وهو رأي قد رده: «ومن مفاخر
كتابنا (يعني كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) الإعراض
عما ذكره غيرنا، وأوحش شيء في كتبهم ضد ما ذكرنا.
ألا ترى أنك إذا نظرت في كتاب الجيهاني وجدته قد احتوى
على جميع أصل ابن خرداذبة وبناء عليه، وإذا نظرت في كتاب
ابن الفقيه^(١٢)، فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ^(١٣) والتريج
الأعظم، وإذا نظرت في كتابنا وجدته نسيج وحده يتينا
في نظمه^(١٤)»

وكذلك ما ندد به البشاري المقدسي، حين قال:
«... وأما الجاحظ وابن خرداذبة، فإن كتابهما (في المسالك
والممالك) مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة^(١٥)...»
ومع ذلك، وجدنا المقدسي، ينقل غير مرة من كتاب
ابن خرداذبة^(١٦).

ولم يكن المقدسي الوحيد بين الكتبة الأقدمين الذين عرفوا
كتاب المسالك والممالك ونقلوا عنه قولاً مختلفة، بل هناك جماعة
فعلوا فعله، نذكر منهم: ابن رسته^(١٧)، وابن الفقيه الحمذاني^(١٨)،

(١) كتاب صورة الأرض ص ٣٢٩ طبعة كرمز

(٢) هو كتاب البلدان. وقد طبع مختصره

(٣) كتاب البلدان الجاحظ، من التفويدهات فيما يظن. وقد نقل
ابن خرداذبة عنه مرة واحدة (أنظر للمالك والمالك ص ١٧٠)

(٤) أحسن التقاسيم (٢٤١٠)

(٥) أحسن التقاسيم (ص ٥٠٤). وفي كشف الظنون (ص ٥٠٤):
«١٠٠ - ١١٠ طبعة فلوجل» رأي كلاً من متول من البشاري ويلاحظ
أن اسم «الجاحظ» قد تعرف في الكشف إلى «الحافظ» فليصح.

(٦) أنظر أحسن التقاسيم ص ٥٧ و ١٠٥ و ١٨٩
و ٢٢٢ و ٣٦٢

(٧) الأعلال النفسية (ص ١٤٩)

(٨) مختصر كتاب البلدان (ص ٢٠٣)

(١) صروج القصب (٢ : ٣٢٦ طبعة باريس)

(٢) الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٤٩)

(٣) معجم البلدان (٤ : ٩٥ و ٦٠٢ طبعة وستانفورد)

(٤) مختصر ترجمة المشتاق طبعة رومة، ص ٧٠ و ٣١٥،
ومقدمة ابن خلدون (طبعة باريس ٩ : ٩٣) في الكلام على كتاب ترجمة
للمشتاق للإدريسي.

(٥) الخطط للمقرئ (مطبعة النيل ١ : ٢١٧ و ٢٣٦ و ٢٦٢ و ٢٩٦
و ٢٩٧ و ٣٤٤ و ٣٦٦ و ٣٧١)

(٦) صبح الأعشى (٤ : ٣١٥ و ٤٠٢ - ٤٠٥)

(٧) تاريخ الطبري (السلسلة الثالثة، ص ١١٨١ - ١١٨٦)

(٨) تاريخ الطبري (السلسلة الثالثة، ص ١٣٧٩)

(٩) تاريخ الطبري (السلسلة الثالثة، ص ١٥١٣)

(١٠) تاريخ الطبري (السلسلة الثالثة، ص ١٦٠٥ و ١٦١٩ و ١٦٥٧)

التي لا ذِكرَ له بين الكتب النوّه بها آفًا . وهذا قوله بالحرف الواحد^(١) :

« ... وعُيِّد الله بن عبد الله بن خرداذبه ؛ فإنه كان إماماً في التأليف ، متبرّعاً في ملاحاة التصنيف ، اتّبعه من هذه طريقتيه وأخذ منه ووطى على عقبه وفق أثره . وإذا أردت أن تعلم صحة ذلك فانظر إلى كتابه الكبير في التاريخ ؛ فإنه أجمع هذه الكتب جداً ، وأبرعها نظماً ، وأكثرها علماً ، وأخوى لأخبار الأمم وملوكها وسيرها من الأعاجم وغيرها ... »

وهي لنم الشهادة يصدرها مؤرخ جليل ثبّت كالمسعودي ! وفي مكان آخر راجع المسعودي إلى « تاريخ ابن خرداذبه » . فقال بعد كلام قلناه في مطاوي بحثنا ما هذا نصه^(٢) :

« على أنه — أي كتاب المسالك والممالك — أحسن كتاب في هذا المعنى . وكذلك كتابه في التاريخ وما كان من ذكر الأمم الماضية قبل مجيء الإسلام ... »

(البقية في العدد القادم) كوركيس هراد

(١) مروج الذهب (طبعة باريس ١ : ١٣) . وقد اختصر قوله السخاوي في الاعلان بالتوزيع لمن ذم التاريخ (س ١٥٥ — ١٥٦) ، والحاج خليفة في كشف الظنون (٢ : ١٠١ — ١٠٢ طبعة أوربة) (٢) مروج الذهب (طبعة باريس ٢ : ٧٢)

الافصح

المعجم العربي الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسمك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع للمصطلحات العربية في العلوم المختلفة ، ولا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاذ ، ثمنه ٢٥ قرشاً ، يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

هسيه يوسف موسى عبد الفتاح الصغير
المدرس بالمدرسة السعيدية رئيس التحرير
الثانوية بالجيزة بمجمع فؤاد الأول قبة العربية

والآن بعد أن أطلنا الكلام على كتاب المسالك والممالك ، نعود إلى بقية مؤلفات ابن خرداذبه

٤ — كتاب الطبخ

٥ — كتاب اللهو والملاهي في خزانه الأستاذ حبيب زيات^(١)
مخطوط عنوانه « مختار من كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبه » ولا ندرى ما إذا كان هذا « المختار » للمؤلف نفسه ، أم أنه لشخص آخر . وليت صاحب المخطوط ، وهو الباحث الكبير المعروف بسمة اطلاعه وبعد تحقيقه ، يمتنى بنشره ، فيضيف بذلك مآثرة جديدة إلى مآثره العلمية الجمة

٦ — كتاب الشراب

٧ — كتاب الأنواء

٨ — كتاب الندماء والجلساء

والغريب أن هذه المصنفات الثمانية باستثناء المسالك والممالك لم تقف أثبتة على ذكر لها ، في ما سوى الفهرست لابن النديم . وهذا كشف الظنون للحاج خليفة ، وهو من أوسع المراجع التي تَهِفُنَا على الكتب ، لم يتطرق إلى تسمية شيء منها ، اللهم إلا المسالك والممالك ، وما قاله فيه لا يتعدى كونه رأياً منقولاً عن سبقة ، كما أسلفنا القول في ذلك في موطن آخر من بحثنا

هنا ونحن على يقين من أن لابن خرداذبه تصانيف أخرى ، الثمانية المشار إليها أعلاه . فقد أورد المسعودي^(٢) مقالة ابن خرداذبه في « الموسيقى » ، وهي التي قالها بمحضرة الخليفة المعتمد

فهل تكون هذه « المقالة الموسيقية » فصلاً أو قطعة من أحد الكتب التي ألفتها إليها ، أم أنها شيء قائم بذاته فأت ابن النديم ذكره ، فكان نصيبه الخلود على يدي المسعودي ؟ ؟

وقد أثنى المسعودي ثناء عاطراً على « تاريخ » ابن خرداذبه

(١) أنظر كتابه « العبارات النصرانية في الاسلام » (س ١٢٨) وقد نقل من هذا المخطوط تبذة تعجدها في الصفحة ٩٠ منه
(٢) مروج الذهب (طبعة باريس ٨ : ٨٨ — ١٠٢)

سنة ونصف تقريباً ، ولذلك لا يستعمل هذا التقويم إلا في تحديد الأعياد الدينية وللواسم السنوية ؛ فلا يستعمل في حساب الفلك ولا في تحديد الفصول . وإنما يستخدم فيها التقويم القبطي .

وقد ذكرت فيما يلي الشهور القبطية بأسمائها الحديثة (١)

مع ما يقابلها من التقويم الميلادي

توت ويبدأ في العاشر أو الحادي عشر برمات ويبدأ في التاسع من مارس من سبتمبر

بابة • العاشر أو الحادي عشر من برمودة • في الثامن من إبريل أكتوبر

حاتور • التاسع أو العاشر من نوفمبر • في الثامن من مايو كيهك • التاسع أو العاشر من ديسمبر • في السابع من يونيو

طوبة • الثامن أو التاسع من يناير • في السابع من يوليو أمشير • السابع أو الثامن من فبراير • في السابع من أغسطس

ويلحق بالسنة القبطية خمسة أيام أو ستة تسمى أيام النسي

والشهر القبطي ثلاثون يوماً ، ويضاف إلى كل سنة من

السنوات الثلاث المتعالية خمسة أيام ، وإلى السنة الرابعة ستة أيام .

والسنة القبطية الكبيسة تليها مباشرة سنة ميلادية كبيسة .

فالسنة القبطية تبدأ في الحادي عشر من سبتمبر فقط عند ما يسبق

هذا الشهر سنة قبطية كبيسة أو تلحقه سنة ميلادية كبيسة .

ولذلك تتشابه الأيام المتعالية في التقويم القبطي والميلادي بعد

شهر فبراير التالي . ويبدأ القبط تاريخهم من عصر دقلديانوس

سنة ٢٨٤ م

ويقسم المصريون المحدثون السنة إلى ثلاثة فصول كما كان

يقسمها أسلافهم وهي : الشتاء والصيف والنيل . ويستعمل

الفلكيون قوائم الأبراج القمرية التي اعتاد أهل الجزيرة العربية

تنظيم شؤونهم المتعلقة بالفصول عليها

ويبدأ الوقت المدني في مصر وغيرها من البلدان الإسلامية

من غروب الشمس إلى الغروب التالي ، فيحسب الليل السابق

مع النهار التالي ، وتسمى الليلة السابقة ليوم الجمعة مثلاً ليلة الجمعة

(١) وقد ذكرت الأسماء القبطية القديمة في كتاب Horae Aegyptiaca

تأليف R. S. Poole ص ٧ - ٩ ، وقد أشير فيه أيضاً إلى اشتقاقها من

أسماء الآلهة المصرية القديمة في ص ١٤ و ١٥ و ١٨

٢٩ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم ليو

للأستاذ علي طاهر نور

تابع الفصل التاسع - اللغة والأدب والعلوم

تتألف السنة الهجرية من اثني عشر شهراً قرياً (١) ، ويتأخر التقويم القمري عن التقويم الشمسي سنة في كل ثلاث وثلاثين

(١) جرى المؤرخون الأوروبيون على أن أول يوم في الهجرة كان يوم الجمعة السادس عشر من يوليو سنة ٦٢٢ ميلادية ؛ إلا أن كوساندي برسفال Cousin de Perceval في كتابه : Essai sur l'histoire des Arabes مقالته في تاريخ العرب Essay sur l'histoire des Arabes بين خطأ ذلك . فالعام الهجري الأول كان العام الحادي عشر بعد ثلاثة من عهد كان العرب يستعملون فيه حساباً قرياً شمسياً تقاماً جاعلين العام الثالث من كل ثلاثة أعوام ثلاثة عشر شهراً قرياً . وقد حرم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الطريقة في الشهر الثاني عشر من العام العاشر للهجرة وقت الحج . ومن هنا يضح أن العام الأول للهجرة بدأ على الأرجح يوم الاثنين التاسع عشر من إبريل سنة ٦٢٢ ميلادية ، وطبقاً للرأي كوسان دي برسفال تبدأ السنة العشرة الأولى للهجرة في التواريخ التالية :

سنة	سنة
العام الأول الاثنين ١٩ إبريل ٦٢٢	العام السادس الخميس ٢٣ إبريل ٦٢٧
• الثاني السبت ٧ مايو ٦٢٣	• السابع الثلاثاء ١٢ إبريل ٦٢٨
• الثالث الخميس ٢٦ إبريل ٦٢٤	• الثامن الاثنين أول مايو ٦٢٩
• الرابع الاثنين ١٥ إبريل ٦٢٥	• التاسع الجمعة ٢٠ إبريل ٦٣٠
• الخامس السبت ٣ مايو ٦٢٦	• العاشر الثلاثاء ٩ إبريل ٦٣١

وهكذا يبدو أن الأعوام الأول والرابع والسابع كان يتألف كل منها من ثلاثة عشر شهراً قرياً ، ولأن العام السابع كان آخر هذه الأعوام وهكذا يبدأ الحساب القمري للمدى بالعام الثامن ، وهكذا أن نستخدم استناداً على هذا الرأي الجدول التالي حتى إلى بدء السنة الهجرية . ولكن لا ينبغي أن نتمسك على دقة هذه الجدول لأن بدء الشهر يحدد برؤية الهلال ولذلك يختلف باختلاف الأماكن ، ولم تبدأ السنة الهجرية من يوم هجرة الرسول صلعم من مكة كما يفترض أغلب مؤرخينا الذين بحثوا هذا الموضوع ، وإنما تنبئ من أول يوم قمر لم يره من شهر محرم السابق لهذا الحادث . وقال ابن الرسول بيد أن ظل غسقاً مع أبي بكر ثلاثة أيام في ظنون بدأ هجرته إلى المدينة في التاسع من الشهر الثالث أي ربيع الأول بعد ستة وعشرين يوماً من بدء هذا التاريخ

الوالم والأعياد الإسلامية والقبطية وغيرها وبعض الملاحظات والإرشادات المتعلقة بالفصول . ويلحق بالتقويم نتيجة طيبة وزراعية لكل يوم من أيام السنة . ويشير التقويم إلى الخسوف والكسوف كما يشمل أموراً كثيرة، تلائم خرافات الشعب وتتضمن آثاراً من التقويم المصري القديم . ويقوم بعمل هذا التقويم قيس سوري مسيحي اعتنق الإسلام يسمى يحيى افندى^(١)

وليس للمصريين معرفة بالجغرافيا إلا فئة قليلة أكثر ثقافة . ويكاد المصريون يجهلون موقع أكثر البلدان الأوربية الكبيرة جهلاً تاماً لعدم وجود الخرائط الجيدة . ولها يمرؤ بعض المتعلمين منهم على إعلان كروية الأرض ؛ إذ أن أكثر علمائهم

ويوافق غروب الشمس الساعة الثانية عشرة ، فتكون الساعة واحدة بعد غروب الشمس بساعة، والساعة الثانية بعده بساعتين، وعلى هذا المنوال بحسب الوقت حتى الثانية عشرة . وبعد الثانية عشرة صباحاً تبدأ الساعة واحدة مرة أخرى ، ثم الساعة الثانية وهكذا^(٢) . ويأخذ المصريون ساعاتهم ويضبطونها عند الغروب عندما يسمعون آذان المغرب على العموم ، وتضبطهم طريقة حسابهم الوقت من الغروب ، إلى ضبط ساعاتهم كل مساء ، إذ أن الأيام تختلف طولاً وقصراً

ويبين الجدول الآتي أوقات الصلاة عند المسلمين^(٣) مع ما يقابلها من الوقت الأوربي الظاهر عند الغروب على خط عرض القاهرة في بدء كل منطقة من مناطق البروج

عصر	ظهر		فجر		عشاء		غروب		
	اسلامى	اسلامى	اسلامى	اسلامى	اسلامى	اسلامى	أوربى	اسلامى	
	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	
يونيو ٢١	٨	٢١	٤	٥٦	٨	٣٤	٧	٠٠	١٢
يوليو ٢٢	٨	٢١	٥	٥٦	٨	٣٠	٦	٠٠	١٢
أغسطس ٢٣	٩	٢١	٥	٥٦	٩	٢٢	٦	٠٠	١٢
سبتمبر ٢٣	٩	٢١	٥	٥٦	١٠	١٨	٦	٠٠	١٢
أكتوبر ٢٣	٩	٢٢	٦	٥٦	١١	١٨	٥	٠٠	١٢
نوفمبر ٢٢	٩	٢٢	٦	٥٦	١١	٢٢	٥	٠٠	١٢
ديسمبر ٢١	٩	٢٢	٦	٥٦	١٢	٢٤	٥	٠٠	١٢

على عكس هذا الرأي . والرأى السائد بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم أن الأرض مسطحة يحيط به المحيط^(٤) الذى يحده جبال (قف) كما يزعمون . ويستند هؤلاء أن هذه الجبال هى ذروة الأرض السابعة ، كما يستندون أن السموات سبع طبقات تلو إحداها الأخرى

فإذا كان هذا هو حال العلم عند المصريين المحدثين ، فلا يجب التآري إذا وجد بعد هذا الفصل فصلاً منفصلاً يصف خرافاتهم . والإسلام بهذه الخرافات لازم ليتين التآري أخطاءها وليستطيع

(١) ولما استقبلها أثناء مقامى الأخير بمصر يقوم يحيى افندى تقويم آخر أنه محمود افندى ، وهذا التقويم الأخير مطابق للأفراض القبطية وأحسن من السابق وهو مشرف لمؤلفه أيضاً

(٢) كما كان يشتد اليونان في عهد هوميروس وهزود Hérodote

يطبع في مطبعة الحكومة ببولاق^(٥) تقويم صغير سنوى ، ويشمل هذا التقويم السنة الشمسية منذ بدأ الاعتدال الربيعي إلى نهايته ، وأيام الأسبوع والشهور الإسلامية والقبطية والسريانية والأفريقية مع الإشارة إلى حركات الشمس في منطقة البروج وأوقات الشروق والظهر والمصر . ويصدر التقويم ببنية في أم

(١) وماتل إذا طرحنا ساعة الظهر العربية في يوم من ١٢ نحصل على ساطت الغروب الأوربية في هذا اليوم
(٢) وقد ذكرنا هنا أوقات العشاء والفجر والمصر تبعاً للحساب الأكثر شيوعاً في القاهرة (أنظر فصل الدين والتاريخ)

(٣) وقد طبع في هذه المطبعة أكثر من مائة كتاب مدة زيارتي الثانية لمصر ، وكان أكثر هذه الكتب لاستعمال الجيش والبحرية ومستخدمى الحكومة . وقد طبع منذ ذلك الوقت في المطبعة نفسها كتاب ألف ليلة وليلة وخطط للترزى وعدة كتب أخرى على ثقة بعض الأفراد

في الريح ...

العطر الأسير

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

يَا رِيحَ الْكَوْنِ مَا ذَنْبِي إِذَا قَلْبِي جَعَا ؟
الهُوَى لَمْ يَسْفِنِي إِلَّا خَسِرَتَا مِنْ رَبِّكَ
قَاتَا أَوْزَاقُ دَوْحِ ذَابِلَاتٍ فِي ثَرَاكَ
وَأَنَا آهَاتُ طَيْرٍ مُسْتَظَامٍ فِي ذُرَاكَ
وَأَنَا عِطْرُ أَسِيرٍ يَسْأَلُ اللَّهَ الْفَكَكَ
أُطْلِقْنِي أَنْتِ ... إِنْ كُنْتُ أَسْتَأْذِنُ الْهَلَاكَ !

أُطْلِقْنِي وَاسْبَحِي مَا شِئْتُ فِي الدُّنْيَا فُكِّكِ
لَا تَخَافِي الْغَيْبَ ، إِنَّ الْغَيْبَ مِرَّةٌ شَعٌ مِنْكَ
فَإِذَا جَاءَتْكَ أَيَّامِي هَوَّجَاءَ التَّشَكُّي
أُخْرِقِي فِي لَهَبِ التَّشْوَةِ إِيْمَانِي وَشَكِّي
وَأَسْخِجْنِي قُبْلَةَ تَبَحُّثٍ فِي جَنَّتِكَ عَنْكَ
جَنُودُ أَنْتِ وَقَلْبِي حَطَبٌ لِلنَّارِ يَتَبَكَّى ...

أن يفهم طابع المصريين . وأنا لتوقع لهذا الشعب قدماً عظيماً
من الناحية الفكرية والأخلاقية بانتباس العلوم الأوروبية في عهد
محمد علي ، ذلك الانتباس الذي قوّم إلى حد ما سلطته الجائرة ،
ولكن ليس من المحتمل أن يتحقق هذا الرجاء قريباً على مدى
واسع (١)

(١) لاحظ البارون ماسر برحتال بحق أن هذا الفصل ناقص ،
وكان يوسى أن أزيد فيه لولا شعوري بواجب التقيد برغبة القارى .
وأخشى أن أكون قد استغففت سببه بتسجيل ملاحظات لا تتم
غير للمستشرقين فلم أدون بناء على التعديل الأخير غير بعض ملاحظات
قليلة بمرّة نتيجة لما رأيته من أن العلوم الأوروبية مقصورة على هؤلاء
المتخصصين الذين أكرهوا على تلقي العلم من اللذين اقترحوا ومن
أن العادات الأوروبية لم يجرؤ على اتباعها غير بعض الأتراك . وقد صرح لي
بعض المصريين الذين تلقوا علومهم في فرنسا أنهم ما كانوا يتقبلون أن
يسبقوا شيئاً مما تعلموه هناك في عقول مواطنيهم حتى الآخرين إليهم

مَا لِعَيْنَيْكَ وَضَوْءُ النَّجْمِ نَاحَا فِي خَيَالِي
أَنَا بِحُجْرٍ مِنَ الْأَحْزَانِ تَشْوَانُ الضَّلَالِ
كُلُّ مَنْ شَارَفَ مَوْجِي ذَابَ كَأَنَّهُمْ خَيَالِي
أَمْ أَنَا كَطَلَبِ السَّدُودِ فِي كَأْسِ الْخَيَالِ
زَالَ كَوْنِي وَتَلَاشَى كُلُّ شَيْءٍ فِي ظِلَالِي
غَيْرَ طَيْفٍ مِنْكَ تَحْزُونِ الْهُوَى بِأَكْبَرِ الْجَمَالِ !

محمود حسن إسماعيل

وجوه طريفة

للأستاذ سيد قطب

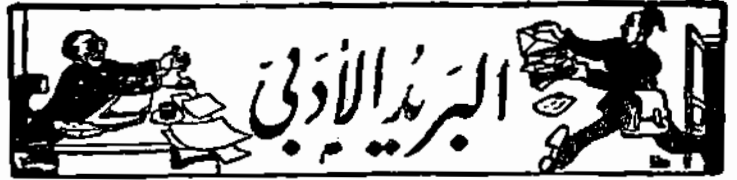
طالعيني في كل يوم بوجه
وَأَفْجَيْنِي لِدَيْكَ بِالْخَطَرِ الْمَجْبُورِ (١)
بِتُ أَشْتَاقُ وَأَرْقُبُ مَاذَا
كُلُّ شَيْءٍ أَرَاكَ فِيهِ جَمِيلٌ
أَنْتِ مَا أَنْتِ ؟ عَالَمٌ مُرَلِمٌ
أَنْتِ كَثْرُ قَدِّكَ تَحْيَا طُيُوفُ
تَارَةً أَنْتِ حَرَّةٌ أَصْطَلِمَا
وَتَلُوحِينَ قِطْعَةً مِنْ حَنَانٍ
وَأَرَى فِيكَ قِطْعَةً لَمْ تَبَارَحْ
وَإِذَا أَنْتِ قَهْرَمَانَةٌ دَفِيرٌ
وَإِذَا مَا انْطَوَيْتِ أَمْسَيْتِ مِرَّةً
وَإِذَا مَا انْطَلَقْتَ مِثْلَ شُعَاعٍ
لَكَ طَعْمٌ أَذُوقُهُ بِلِ طَعُومٍ
هُوَ طَعْمُ الْحَيَاةِ فِي قُورَةِ النَّضْجِ

(حلوان)

(١) تلاحظ أن هذا الشطر يزيد فيه سبب خفيف

(الرسالة)

سيد قطب



التشريع الاسلامي الدائم والمؤقت

كتب صديقي الأستاذ الجليل الشيخ عمود شلتوت مقالاً في عدد الرسالة الممتاز تحت هذا العنوان (الهجرة وشخصيات الرسول) وليس المهم في هذا المقال تقسيم شخصيات الرسول، فذلك أمر يعرفه كل العلماء، وإنما المهم والجديد في هذا المقال ما جاء فيه من توزيع أحكام الشريعة الإسلامية على تلك الشخصيات، ومن جعل التشريع الدائم والمؤقت قايماً لهذه الاعتبارات، وهذا أمر جديد لم يظهر إلا في عصرنا. وإذا أمكن الاتحاق عليه ينشأ أمكن حل مشاكلنا التشريعية، وزالت أكبر عقبة في سبيل وضع تشريع إسلامي يفي بحاجات المسلمين في هذا العصر، ولا يمكن أبداً أن يوجه إليه أي طعن.

وخلاصة ما يرى إليه هذا المقال أن الذي يعدّ شرعاً دائماً هو ما يرجع إلى شخصية الرسول من العقائد وأصول الأخلاق والعبادات، وما عدا ذلك مما يرجع إلى شخصية الإمام أو التي أو القاضي فليس بشرع دائم، وإنما هو شرع مؤقت يمكن أن يتأثر بالاجتهاد، وأن يترك العمل به لسبب من الأسباب. على أن لي فيه رأياً آخر لا أبدية الآن، لأننا نريد الإصلاح من أي سبيل ينتهي بنا إليه، وتحقيق رغبتنا في رفع شأن هذه الشريعة الغراء.

أربع هللهم وعير بين شعراء الجاهليين

أراد الأستاذ عبد المتعال الصديدي في مقال له عن الشعر الجاهلي (بالعدد ٤٥٤ من الرسالة)، أن يدحض آراء بعض أدبائنا المعاصرين ممن يشكّون في نسبة هذا الشعر إلى أمجابه؛ ويزعمون أن بلوغه هذا الحد من الكمال والإتقان مما يخالف سنة النشوء والارتقاء.

وقد رأي — في صد ذلك — أن يثبت وجود نوع من الشعر السقيم المختل الأوزان، يستند الخطوة أو الخطوات الأولى التي مهدت السبيل إلى ظهور هذا الشعر القوي الناضج الذي انتهى إلينا من أدب الجاهليين. ووقع اختياره على عبيد بن الأبرص

كنموذج للشعراء المتخلفين، أو أصحاب الفطر السقيمة ممن سبقوا بوجودهم أرباب الشعر الرصين، وضرب المثل في ذلك بيأئته المشهورة — أقفر من أهله ملجوب — فأورد عدة من أبياتها ثم قال: «والحق عندي أن هذه القصيدة تمثل أولية الشعر العربي خير تمثيل... وأن عبيداً في هذا يمثل بين شعراء عصره حال الشاعر المتخلف، لأنه لم يتهيأ له من أسباب النهوض ما يتهيأ لهم...»

وعجيب حقاً أن نهبط بان الأبرص إلى هذا الفكر الأسفل من منازل الشعراء، وهو أحد العشرة الذين وقع الإجماع قديماً على تفضيلهم؛ ولا تعدّ بائته هذه عشرة القصائد الماثورة فحسب؛ بل يضعها بعض النقاد بين السبعة الأولى منها، وهي المعروفة بالملقات. ومن هؤلاء ابن قتيبة صاحب كتاب «الشعر والشعراء» ويتفق تهمة التخلف عن عبيد أن جميع شعره — عدا هذه القصيدة — يجري على الأوزان المعروفة في قوة وجزالة نهضان به إلى مصاف كبار الشعراء من معاصريه؛ فهو القائل في الافتخار بمكارم خلقه:

لممرك ما يخشى المجلس تنحشني

عليه ولا أنأى على التردد
ولا أبتنى ودّ امرئ قل خير

ولا أنا غن وصل الصديق بأخيد
وقد سجل له صاحب (البيان والبيان) قصيدة كريمة
اللفظ والمعنى يقول في مطلعها:

تلك عرسي غصبي تريد زالي ألبين تريد أم لدلال ؟
إن يكن طبك الفراق فلا أـ قبل أن تمنطق صدور الجلال
ومما أورد له صاحب الأمالي قوله من قصيدة:

يا من لبرق أيت الليل أرقبه في عارض كضياء الصبح لائح
دان منصرف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بلراح
وأورد الخطيب التبريزي في كتابه «شرح القصائد العشرة»
— عند ترجمته لذكر عبيد — أن سميد بن العاص سأل الخطيب:
من أشعر الناس؟ قال الذي يقول:

أفليح بما شئت فقد يبلّغ بالضعف وقد يخدع الأريب أ
... فشاعر هذا شأنه، وتلك منزلته عند النقاد والشعراء،
لا ينبغي أن يوصف بالتخلف، أو ينسب إلى الجهل بإقامة الأوزان
على نهجها الصحيح، وإنما الأقرب إلى الصواب — وذلك رأي

التي أعدها الأديب « كوركيس عواد » وضمنها ما استطاع الوصول إليه من المؤلفات العربية التي نشرت سنة ١٩٤٠ ، البالغ عددها ٣٩ كتاباً — أن أشكر للأديب الفاضل هذه العناية الفائقة ، ولجلتكم الفراء نهجها القويم وحرصها على التراث العربي المجيد

إني أرى أن النهضة الثقافية الأدبية ، القائمة في هذا الوطن العربي تستند إلى عوامل منها بعث هذا التراث ، واقتباس اللآلئ النافعة من أدب الغرب وثقافته ، ثم توليد شيء جديد . ولكن ما هدف هذا البعث وما فائدته ، إذا لم تصل الكتب إلى أيدي القارئ ؟ وأنى لها أن تصل وهم يجهلون أنها أصبحت ميسورة ؟ أما الكتب المدرسية والترجمة من قصص وغيره ، فينتشر خبرها حالاً تطبع وأحياناً قبل ذلك ، وخاصة إذا تولت طبعتها دار للنشر تتبع أساليب الإعلان الحديثة ، أو كان مؤلفوها من مهرة التجار ولذلك كان لا بد أن تتولى إحدى المؤسسات الثقافية في العالم العربي إعداد ثبوت سنوي بكافة ما تخرجه المطبعة العربية في سائر الأقطار . وبما يسهل هذه المهمة أن كل من ينشر كتاباً في أي قطر مكلف بتقديم نسخة واحدة منه أو أكثر إلى المراجع الرسمي المختص بذلك . وأعلن أن دار الكتب المصرية (هي هذا المراجع في القطر المصري ، وأعترف أن دائرة المعارف تمارش هذا الحق في فلسطين

ولما كانت مصر تفتح من الكتب أكثر من غيرها بكثير ، فإن دار الكتب المصرية ، تسدى إلى نهضتنا المباركة جيلاً محمد عليه ، إذا هي اتصلت بالمؤسسات التي تمارس هذا الحق في سائر الأقطار العربية وغيرها (فيما يتصل بالطبوعات العربية) ، فحصلت على لوائح الكتب التي تصلها ، ثم جمعتها وصنفتها ونشرتها وسدت هذه الثغرة في الأساس ، وأثارت السيل للقارئين .

عصام الشريف

(القدس)

نظرة في ديوان الشيبى

وقع في كلتي عن ديوان الشيبى أغلاط مطبعية أرجو أن يكون كثير من القراء قد أدركوا موابها . وهي :

١ - ولكن كان كل بيت تعق العين عليه يذكر بأن بيت الشيبى . والصواب : يذكر بأنه ... الخ

خاص بتقديم به — أن تكون هذه البائية إما جاءت على وزن أو أوزان هجرتها العرب في أواخر جاهليتها . والأوزان كانت — وما تزال — في تطور مستمر ؛ ونحن لا نستطيع منها إلا ما ألفناه وأكثر الشعراء من القول فيه . وإلا فنمنا يستطيع هذا الوزن مثلاً ، وهي لابن تقي من وشاحي الأندلس :

يا وبع صبر إلى البرق له نظر وفي البكاء مع الورق له نظر
أو من نمنا يستطيع قول (المهر بن الفرس) وهو من شعراء الموشحات في غرناطة :

قد ما كان من يوم بهيج بنهر شخص على تلك المروج
ثم انطفأ على فم الخليج نقض مسك الختام ...
وتعود فنقول : إنه لو كانت بائية عبيد نموذجاً للاختلال كما وصفت ، لكان للقدماء عن اختيارها مندوحة . وفي أشعار عبيد مما استقام وصحت طريقته ما يثنى عنها ويمجى ، وجميع شعره من هذا النوع كما ذكرنا . والبيت الوحيد الذى أورده الأستاذ — من غير القصيدة البائية — وجعله دليلاً جديداً على قصور الشاعر ، هو بيت صحيح الوزن كما سجلته كتب الأدب . وإنما أخل الأستاذ بوزنه حين حنف (التفعيلية) الأولى منه : (وقالوا) — ولعل ذلك سهو منه غير مقصود . وصحة البيت نقلاً عن حياة الحيوان للفيثي (باب الذئب) :

(وقالوا) هي الحمر تكني الطلاب كما الذئب يكنى أبا جعدة
هذا عن عبيد ... أما علقمة الفحل فلا يقل عن صاحبه شأنًا ؛

وما احتججنا به للأول نحتج به للثاني ، ثم زيد عليه أن قصة تلقيب علقمة بالفحل — وهي مشهورة متداولة في كتب الأدب — تبدأ الليل الأخير على تبريزه في الشعر ؛ حيث يشيرون فيها إلى أنه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته (أم جندب) وأنشدها كل منهما لنفسه شعراً ، فحكمت لعلقمة على زوجها . حتى قال امرئ القيس : ما علقمة بأشعر مني ولكنك له وامق . ثم طلقها فخلقه عليها علقمة ؛ وسمى بذلك (الفحل)

إلى هنا أقف الحديث ... ولعل الأستاذ الفاضل يهتدى إلى « الحلقة المفقودة » من الشعر الجاهلي ، في أقوال شعراء آخرين غير عبيد وعلقمة ؛ والله أسأل أن يوفقنا وإياه

« جريا »

محمد عزت هلال

اقتراب

أرى من واجبي الآن — وقد فرغت من نشر اللائحة القيمة

٢ - بغداد أشتاق العراق وهأنا

إلى الكرخ من بغداد جم الشوق

والصواب : أشتاق الشأم

٣ - وطموحاً إلى ما يبقى له من العزة والسؤدد .

والصواب : ما يبني له

٤ - ثم الأبيات الثلاثة :

فظرت بني الدنيا فأصررت أهما

على الشر لا تنفك تجري التحات . الخ

هذه الأبيات قد وضعت في غير موضعها . وضعت في الكلام

على حب الشاعر العراق ، وموضعها في الكلام على نظرات

الشبيبي في الحياة

هيد الوهاب هزام

وفاة فيكتور مرمرين

توفي الكاتب الروائي الفرنسي المعروف فيكتور مارجريت في

بلدة مونستيه قرب فيشي وهو في الخامسة والسبعين من عمره .

وقد ولد في الجزائر سنة ١٨٦٦ . وانتخب في سنة ١٩٠٦

رئيساً لجامعة رجال القلم وعين في سنة ١٩١٤ رئيساً لجمعية فيكتور

هوجو ، وكان في أثناء الحرب العظمى ضابطاً في هيئة أركان الحرب ،

وأسس جريدة « أفورماسيون أونيفرسال »

وقد لفتت مؤلفات فيكتور مارجريت عند أول ظهورها نظر

البيئات الأدبية الفرنسية لأسلوبها الواقي الصريح ، حتى أنه جرد

من وسام « الليجون دونور » عندما نشر كتابه للعروف

« لاجرسون » في ١٩٢٢ ، ومن مؤلفاته المشهورة : « البني » ،

و « فتيات » ، و « حدود القلب » ، و « الرقيق » ، و « جسمك لك » ،

و « الماشية البشرية » ، و « نشيد الراعي » ، و « صوت مصر » ،

وغيرها

بين بشر ونجوم

الدكتور بشر فارس كاتب متميز وأديب ضليح ، لا تقدم

في أسلوبه أبداً من أوابد اللغة كانت هائلة في المايجم والأضابير

قد أتى بها الدكتور مقيدة مكبلة ، فلولا القيد التي به كُبت ،

والزوائد التي إليه سُدت ، لتفرت شاردة وحادت كما كانت

واللحن يتناولوه الدكتور من جيبته ، ثم ينفذه أمامك فجأة

فيمسكك تكويره وتجويره وتسجيك طرافته ، فهو يتبها لعله

الأذني كما يتبها القناصون للخروج للصيد في أحراش أفريقيا

أو طالب الحوت في بحار القطب . فلهم لباسهم الخاص وسلاحهم

وعتده وعتادهم ، وكلما كانت الرحلة شاقة مفضية كانت الفناءم لنحب

وأعرب . وكلم في أسلوب الدكتور من طرف هي للقاعدينم غرائب !

وهو حين يكتب في الفن يتقاد للمكته بمد أن يكون قد

هيا لها الجو على النمط الذي هنا إليه مزاجه كمن يريد ليلة حراء

فينسرب إلى الغرفة ذات اللون الأحمر والستائر القرمزية والضوء

القاني الجرج ! وأما حين يكتب في النقد والبحث فهو يحمل

تحت أبطه منجبة ما خطه جهابذة الاستشراق (والدكتور بشر

سريمهم) وكلما خط سطرأ فتح من آثارهم سفرأ يستلهم منه

نصأ أو بطوف بنص ، وقد تخلى عن نافذ بصره ومحصحان

بصيرته ، وألقى على وجهه بردة سوداء كتلك التي يصطنعها المصور

حين يتولى آتته من الداخل ليخرج (المفريته) فأمامه

(أي المصور) الشيء مقلوباً ، وهو يعلم أنه لكذلك ما دام مالكاً

لحسه ، أما إذا غفا أو سها فالتلوب هو الأقوم !

ومن هنا جاءت نقدات الدكتور للأستاذ تيمور في مقتطف

مارس ١٩٤٢ وتوقعه لبعض عبارات عامية وردت في قصة الخبأ

رقم ١٣ يقول الدكتور بشر عن قصة تيمور : (ومن الغريب في هذا ،

الصدد أن يقول ماسح أحذية « صوت فأري » ص ٨ من القصة

وأقرب إلى الدارج « صوت فيرائي » ، هكذا النسبة إلى الفأر عن

السوقة) . إلى هنا انتهى كلام الدكتور . ولا شك أن الناقد

القاضل كان يستلهم هنا نصأ لمستشرق جهيد ، فلو نظر بينه هو

وهي فقاذة فقاذة لعل أن تيمور هو الأصدق والأقوم ، (ولكن

لعل الله بردة المصور) ، لأن المعنى هنا منسوب إلى الفقر لا إلى الفأر

كما توهم الدكتور ، ولم توجد قط السوقة التي تنسب النسبة التي

يزعمها الناقد في مثل هذا الموضع ، وإن كان وجودها لا يستبعد

في مقبل الأزمان !

وقول الناقد في موضع آخر من المقال قننه (ولربما أفلتت

العامية من أنامله « أي أنامل تيمور » مثلاً « ساعتين والا أكثر »

وهو يريد ساعتين مش زيادة) ، والحقيقة أن العامية هنا لم تلت

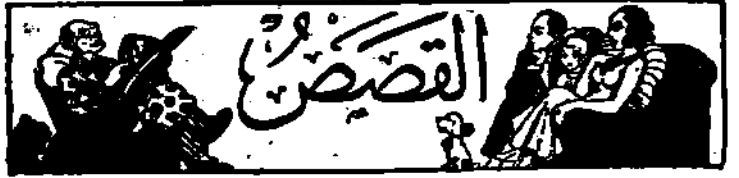
من أنامل تيمور ، والعبارة مستقرة لا تحاول إفلتاً كما تشهد بذلك

العامية ذاتها ، ولكن لم يرها الدكتور كذلك ، لأنه كما قلنا

استطلع بردة المصور ثم منها . وليس معناه دنا أن قصة تيمور

خالية من الشوائب ولكن الدكتور بشر قد طعن في غير مطن

(القاهرة)



كآلات في جود ورباطة جأش
السما والأرض ، والهواء والماء ، الطيعة والإنسان ،
كل هذه الأشياء القوية الكبيرة تتأخر على هذا القطيع
الهزيل المريض . إنها البرية وسط هالة من نور !

قالت هذا فتاة في العشرين ، لها لون القمح قبيل الحصاد ،
ورقة زهر القطن في الصباح الباكر ، ورشاقة عود البصرة الناضج ،
وعذوبة ظل التوت في اليوم القانظ ... ترتدي ملابس الركوب
وتتخطى خيرة خيول القرية ، وعلى رأسها قبعة واسعة تنحني قليلاً
تاجاً ثميناً من الشعر الفاحم . تتأمل في إشقاق زمرة من الشباب
والنساء والأطفال يتقون لطع دودة القطن في ركن قريب من
أركان الحقل الترابي

كان يبدو عليها أنها ترى الحقل لأول مرة ، لأنها ذعرت
وهمت . أن تناديهم بأن يكفوا عند ما سمعت بكاء خافتاً مجهداً
لرضيع بالقرب منها في ظل مظلة من المشب كان في قصص
من سمع النخيل مفروش بالقش يحرك يديه وساقيه في عصبية
وبيكى .

اندفعت من فوق جوادها في جزع وقفزت في لفحة الفتاة
التي كانت تفصلها عنه تدفعها في ثورة وجوح أسمى عواطف البشر
كان إنساناً ضئيلاً ، باهتاً ضامراً ، عتقتاً في لون الأرض ،
تقوح من ملابس المزرقة القنطرة رائحة كريهة عفنة ، وتغطي
الأوساخ وجهه وشعره وأطرافه . وكان يبدو أنه بكى كثيراً
حتى أسهك البكاء

انحنى على الفراش في حنو بالغ كأم وحملت بين ساعديها
ونفسها تذوب رهقاً وشفقة
همت بالفرزة أن تعطيه ثيابها ولكنها تذكرت فانحنى عليه
وقبلته .

ورأسها الأم فأسرعت خوفاً من أن يكون في وجوده
ما يؤذي . وجارت السموع في عينها وهي تمدو توجساً من
وقوع هم جديد . ولكن نظيرة الفتاة الوديمة ، ونومة الطفل
المادة بين أحضانها رفقت قليلاً كأيوس البشر الجائهم على مبدوها
فأقربت متملة وقالت وهي تنحني فائدة ذراعاً تأخذ بها الطفل

من قصص الرأي

عبادة ...

للأستاذ محمد عنان

كل شيء كان يتمنب ... الطيود في ظل الأغصان فاعرة
أفواهها تلثت ، والبهائم في صرايطها تتألم في استكاة وصمت ،
والزبد يتناثر من أشداقها في لمحات مطردة متقطعة ، وأوراق
الأشجار متراخية في ركود وإعياء ، والحقل متمد تحت لمب
بوليو العنيف يتلوى ويرسل من جوفه أبخرة حارة تشارك السماء
في لفتها على قطيع القرويين الهزيل الجائع الذي كان يروى هذه
الأرض بمصير حياته

كانت أبالسة الجحيم تملأ الحقل ، والشمس في كبد السماء
تصلى الأرض بكل ما فيها من قوة وما في عناصرها من آلام ،
والهواء يهب ساخناً كأياء يشوي الحياة ويخفقها ، ويدفع العرق
غزيراً على الوجوه القروية الكالحة العابسة ، والأبدان الفسرة
الضامرة ، ويطلق من جنوة نشاط الحركة التي كانت تنسج ما كلفوا
القيام به من عمل . وكانوا يجاهدون ويقاتلون في صبر وجلد
كحيوانات أضناها الجوع تحبو على بطونها إلى طعام بعيد

تمحدثوا حتى فرغ كل ما في جيبهم من حديث ... اخترعوا
حتى نصب خيالهم الجفاف . وارتقت عقيرة إحدى الفتيات
بالغناء ... رددته البعض وآثر الآخرون الوجوم . واشتد ضغط
الحياة فتبند الصوت ... وانتشر على البوثة الرهية صمت مهروع
كان فيه احتكاك المال بالشجيرات هو الصوت الوحيد لمجلة
العمل القشوم وهي تدور في أشع صورها وتحول في همجية وقسوة
خبراً جافاً إلى ذهب

واخترق الصمت الجيزن صوت رفيع يصيح ولا تفرات له .
ماء ... ماء ... إن خلق يلهب . ويحاط إحدى الماملات بالماء
من أقرب المصارف آسناً ساخناً ، فتجرعه في نهم وعادوا يملون

والأخرى على نفسها محاولة في جهد أن تبسم :

— الغويا سيدتي ! لنا في هذا المقام

وتنبت الفتاة إلى الأم وما هي عليه من إعياء قاطعتها وهي تحتضنه وتبعده عكس اتجاهها :

— لا . لا . لا . دعي لي الآن ... اجلسي . استرحي .

لا ترضيه . اركيه لي ... إن لبنك الآن في تسم قاطعتها القروية في سداجة وشفثاها الجافتان تنفرجان عن شبح ابتسامة تألمة :

— إنها طفلة . و ... صمتت عند ما رأت صورة الملع التي ارتسمت على وجه الفتاة وهي تماود بسرعة النظر إلى الوجه الصغير القارق في الأقدار والدموع

— آه . طفلة ! ... ما أقى هذا ؟ أهكذا تربي الأمهات ؟ واستطردت هاسمة وهي تسمح على جبين الطفلة بمندبها الصغير وتزداد بها تعلقاً والتصاقاً :

لماذا أحضرتها في هذا المكان ؟ إنه يقتل فيها الإحساس بالمطف الأموى . إنه يصرع أنوثتها ويحولها إلى خاتمة أطفال . ثم رفعت رأسها وسألها في إشفاق وتأنيب :

— لماذا لم تركيها في المنزل وتظلي في رعايتها ؟

فأجابت القروية للشهوة :

— كيف ! والخبر يا سيدتي ؟

— وزوجك ؟ أليس لك زوج ؟

— ولكن أجرة لا يكفينا

قالت الفتاة في حيرة :

— لكن ... ! يجب أن تغلي شيئاً ... أى شيء ...

ليكن مثلاً ... كم يبلغ إيرادك ؟

نفضت المرأة رأسها في حزن ... أحست بمزيج عجيب من السرور والألم يضطرب في قلبها القاتم ، قد كانت هذه هي المرة الأولى التي تسمع فيها حديثاً يتعلق بحياتها إذا كان لها حياة بالمعنى المفهوم ... واستيقظت أفكارها الراقدة المظلمة الراسبة في قرارها الحزين ... وأخذت تصف الفتاة آلامها في نبرة خافتة بهرومة من كل صفات الأنوثة والحياة

أخبرتها أن القرية فئتان : عمال ... وملاك . وأنها من الفئة الأولى التي تحيا تحت أقدام الأبقار وأطفالها يموتون جوعاً ، وأن

أجر زوجها يتراوح بين القرشين والثلاثة يومياً ، وأنه يعمل ثلثي العام فقط ويقضى الباقي متعطلاً ، وأن لها عدا الرضيعة طفلة في الخائسة ذهب الصديد يبصرها ، وطفلاً في السابعة مريضاً لا يكف عنه المرض ؛ استعرض في عمره الصغير آلام عدة أمراض لا يزال يعاني الآن بعضها ؛ ومات لها عدا ذلك ثلاثة أطفال .

ولد الأول ميتاً ، وقضى الآخرون في سن الرضاع ... وقصت عليها بعض ما تعانيه في سبيل التوفيق بين مطالب هذه الأسرة الكبيرة القابلة للتضخم وبين الأجر القليل تناله مقابل المجهود الزوجي ...

هذا عدا ما يصيبها من ألوان القسوة وضروب المعاملة السيئة من زوجها . إنها تدرك السبب . وتعرف أنه يثار لشقاقه منها . كما تفرج هي عن نفسها أحياناً بالدموع وأخرى بضرب أولادها .

إن حياتها سلسلة طويلة قتيبة شقية متشابهة الحلقات ؛ وإن الرضيعة في قفصها للنكود أسعد حالاً منها ؛ فأمامها وقت تستطيع أن تموت فيه طفلة . ثم غلبها التأثر فقالت والدموع تنهمر من مآقيها :

— ما أشد قسوة الميت يا سيدتي ! على الأقل بالنسبة إلينا نحن الأمهات العاملات

أنصت الفتاة إليها في ذهول وصمت . وعند ما فاضت عينا القروية بالدموع أحست بجرح ساخن عميق يصيب كرامتها

كأمراء ... وكالثانة ... وأوضاع الحياة تتمرغ أمام عينيها -

نفحتها في خجل كل ما معها وعادت تسير بجوادها خيباً وكل ما حولها يقلب ويلف في رأسها ويدور

وروعت القروية . كان مبلعاً جسيماً جداً باعتباره منحة ؛

وأخذت تبحث في القصة التي تنفر قبضتها في بلاهة وشك حتى أنها لم تحب زميلاتها في التو عند ما سألها في فضول وهن يعبدن

أعناقهن من بين الشجيرات . بل كشفت عن رأسها وصدرها في انفعال وعصية ورفضت يديها ووجهها إلى السماء ، وفي صوت

حار متهدج يمزج ببيارات تنبت من مكان عميق في قلبها ، عبرات لم تسقط من عينيها من قبل ، أخذت تدعو للفتاة بطول

العمر والسر وبلوغ المآرب وكل ما يعلو قلبها من أمالي الخير

وسرى خير للجنة في أنباء الحفل سرعان روح الربيع

في السواد الجلف ، فأفاق من جموده قليلاً قليلاً ، ونهض يشد

الانقسام في هذا التسميم الرقيق اللين بالحنان والمطف ، ويصفي

روحية صافية لا تشوبها ذرة مادية . ومع أن قسوة الحياة وجود البيئة جعلت من هذه المخلوقات التمس حيوانات ضارية فإن القلب الكبير وجد له صدى مضاعفاً في القلوب المجيدة ... وقام هذا القطيع الكبير التمسك يستظل بمحناها ، ويستمتع إلى جوارها بالنور والدفء ، ويستمرى طم الحيلة الخلو الذي قد مجرد الإحساس بوجودها ... وقام كل يبحث بين طيات هذه النفس الواسعة عن معنى الخلجات الغامضة التي كانت تملأ نفسه ولا يستطيع إدراكها أو التعبير عنها ... هذه الرغبة في عبادة الأكل التي جعلت من الإنسان حيواناً راقياً ...

غمرت القرية روح عجيبة غيرت من كل شيء فيها ... وملأت هذه المخلوقة الصغيرة كل هذا الفراغ الترابي ... حتى تكونت لهم أخلاق خاصة بها ، نغمت الألفاظ البديهة التي كانوا يتنادرون بها عادة فيما بينهم ، وأصبحوا يعدون كل كلمة قهقهة بها حجة لاقبل الجدل وتبدأ يضاف إلى بنود دستورهم الأخلاقي الجديد قالت يوماً لقروية رأت ما عليها طفلها من الإهمال : إن الفقر ليس معناه القنطرة ، وإن النظافة أقل أسباب الصحة نقيت ، وهي من ضرور الاقتصاد التي يجب أن تلازم الفقر ... فتضاعفت كية الصابون الواردة إلى القرية بشكل لم يسبق له نظير في تاريخها

وحدث أن هاج نور من ثيران العمدة وأخذ يندو ويروح بين الأزقة الضيقة وينطح كل ما يسافده بقرنيه الشرستين ، واتفق وجودها في الشرفة ورأت في جزع حياة المارة المعرضة للخطر . فدفع هذا الجزع قروياً شاباً كان مشهوراً بين زملائه بالاستكافة والضعف الجسماني إلى المفامرة بحياته ... ويقول الذين رأوا الحادث إن الشاب امتلاً فجأة بنور كضوء القمر ، والتمت عيناه كنجمتين واقض على الثور الهائج معرضاً حياته لموت محقق ، وقبض على قرنيه وضغطهما في قوة هائلة جعلت الثور يتراجع ويسقط على قائمته ؛ ثم ربطه في حبل وقاده إلى مربطه بين الدهشة والضحج . ومما هو جدير بالذكر أن الفتاة قدمت إليه بهذه المناسبة قطعة فضية ظل يحتفظ بها كوسام برغم الظروف الصعبة التي مرت به

وكان هذا الحادث سبباً في زواجه من فتاة كان يحبها وكانت ترفضه .

وأشد من ذلك غربة أن قوة الشاب البدنية أخذت من هذا اليوم تزفاد ، ومظهره أخذ يبدو أكثر نظافة وأناقة . وأنا وإن

في شغف إلى موسيقى الحادث فتطربه ، ويلعب كل على هذا الوتر الرقيق الرقيق ما في أمانيه وأحلامه من ألحان قصصية فطرية أضافت إلى الحقيقة سطوراً شعرية فائقة وحار سؤال على الأفواه : من تكون هذه المحنة الصغيرة الجميلة ؟

ولم تدم الحيرة طويلاً بفضل (معرض الجلال) ، وكان ينتقل بين الحفل والقرية ينقل محصول القمح إلى الجرن أخبرهم وهو يتعالى على ظهر ناقته الضامرة أنها ابنة صديق لحامد بك مثرى القرية وسيدھا الأول ... كان هذا الصديق في يوم ما مأموراً للركز ، وهو اليوم أحد كبار موظفي الداخلية ، وأنها جاءت بناء على إرشاد طبيها ، وستقضى بينهم وقتاً قد يكون طويلاً ... والكثير مما أثبتت الأيام أنه كان من نسج خياله ، والنتيجة اللازمة لقلة العرض وإلحاح الطلب

ومن هذا اليوم تعودوا أن يروها عند ما يجب أن تظهر لللائكة في أقصى ساعات العمل ، وفي حالات المرض والجوع والعري التي كانت ترزح القرية تحت أعبائها الثقال ، وأصبح من المألوف لديهم أن يروها بينهم في القليلة ، عند ما يشتد ضغط الحياة وتتخلل عنهم السماء ، تلهو معهم بالعمل وتفتي وسطهم وهي تضحك ، وتثر بمحيوتها الفطرية زهور الربيع على أطلال خريفهم الكتيب الدائم ، وتغلا الحياة من حولهم مرحاً وإتسماً وكثيراً ما كانت تشاهد في أزقة القرية بين الأطفال تداعبهم في لطف ، وتمتحن ذكاءهم في براعة ، وتثير فيهم حب النظافة بالانتقاد الخفيف والمناقصة الهادة . أو بين القرويات في دورهن تساعدن في بساطة وألفة على تنظيم ألتهن عند ما كن يقمن بذلك أثناء زيارتها لمن

وقد كانت تجلس وسط رهط منهن تجلسن حديثاً عادياً شاملاً وأسنائها البيضاء تسطع من بين شفتيها الخلابتين في إتسامة مشرقة ، وهن من حولها يصنن في انتباه والسرور والإعجاب بعلامهن

وكان جنوها البالغ على المرضي من الأسباب القوية التي كانت تقضي سريعاً على اليأس والكآبة والمرض حتى أنه عرف عنها أنها لا تزور مريضاً حتى يشفي

ثم هي تتدفق عطفها في سخاء وغزارة متهين عن العرض ، وشعور صادر عن إحساس عميق صادق تدفعه في حرارة رغبة

عمرت القوم جنة وذهبوا إلى القرية عدواً
وانطلق الخيال الخصب من عقاله ، وملأت الإشاعات بشكل
مضاعف مجالس السمر ، على المصاطب ، وفي موارد المياه والمخازن .
وملاً الحلق والغضب قلوب القرويين
وباتت القرية ترعد من الألم وتعصف بها قوة عاتية ، غاضبة ،
حائرة !

وفي الصباح عند ما قدمت عليهم عمرتهم رعدة قوية - على رغم
أنهم كانوا ينتظرون هذا القدوم بصبر نافذ - وتصيب العرق
البارد على أجسامهم في غزارة ، وتساوقت دقات قلوبهم وهم
يخفون رؤوسهم بين الشجيرات ويراقبون من وراء الأوراق
بأنفاس مكتومة ونظرات مرتبكة . وأخذت تنطلق بين الفينة
والفينة أصوات كالفحيح بعبارات ساخطة مبهمة في يأس كالبكاء
ولما حينهم والدهشة تعقد لسانها أجابها البعض بأصوات
مختقة وهم يبالغون في الاختفاء ، وصمت أكثرهم شجاعة إيماناً
في الازدراء والاحتقار !

وبعد أن توارت وسط هذه العاصفة الصامتة وقف الشاب
الذي قهر الثور وهو يكاد يسقط وقد تهطلت قاطبيه وعادت إليه
في الأنتقى عشرة ساعة الماضية هيئته القليلة وسياء العرق ، وصاح
منهوكاً والدموع تملأ عينيه ، والعرق ينطلي وجهه المنير ... إنه
خطيبها ... أقسم أن زيف الخاطبة قالت لي ذلك ... إنه حلال !
حلال ! وهي ستزوجه . إنه زوجها . أقسم بالطلاق أنه زوجها !
وعصر قلبه ألم كبير لم يقدر على مقاومته . ولكن ما قاله رغم
تناقضه وجد مرتكاً في النفوس الظالمة المصاية ؛ قد تحدث
في الوقت المناسب أثناء تعادل القوى النفسية المتدافعة . وكاد
القوم يشوبون ويصدون خلفها يغفرون تحت أقدامها بالتراب
وجوهم ؛ بل فكر البعض في جمل التقييل قبل الغروب سنة
يجب أن تسها شبيبة القرية ، ولكن زميلاً وقف يهدر وانفجر
بصوت قوى كهتقد والشر يطير من حوله ... ليكن خطيبها ،
زوجها ... أبوها ... إنها كانت تأكل ! إن عينها حرقاني وأنا
وراء السياج ! لقد كانت نخدعنا هذه الـ . . . وهم أن ينمها بأحط
النموت ، ولكن الكلمات ماتت على شفثيه ، وعاد إلى عمله وهو
يكاد يضرب نفسه !

وعاد الحقل إلى صمته الحزين الأبدى !

(أبو حمس)

فلم

كنت لا أستطيع تفسير هذه الظاهرة تحليلياً إلا أنني لا أشك
مطلقاً في أن هذا الحادث كان سبباً لها
تحققت إذن كل خيالات القرية الجاثمة في هذا الملاك الشهي
واندفعت بكل رغبتها في الخلاص وأملها في التخلص تقيد الشموع
وتشعل الباخر في معبد أقامته من الأمانى قرباناً للمعبودة السمراء
لقد ارتفعت وارتفعت حتى وصلت إلى مصاف الأنبياء أو فوق
مكافة البشر

وكان الحقل يظل عابساً أو كالعابس حتى تمر به كنسمة الحياة
في وادي الموت فينقلب عبوسه إلى طرب ووجوهه إلى ابتسام
وخوله إلى جذوة من النشاط والحركة والمرح
وفي صباح خريفى رأوها كالعادة قادمة في الطريق الضيقة
الملتوية التي تصل الحقل بالقرية . تسير كالجدول الرقاق بجوادها
الأيض ، يتبعها على جواد آخر شاب نظيف ممتلئ يطفح صحة وبشراً
حسبهم بالروح الطيبة التي اعتادوها فاطمأنوا إليه وازداد
تعلقهم وتقديرهم واحترامهم لها عند ما ساعدها في أدب جم
(وهو لا يقل نظافة عن وكيل النيابة) على الترجل . وقابلوها
بالإشراق والابتسام بملأ وجوههم . ووقفوا في خشوع يعبرون
بوجوه صامتة تحتلج عن مقدار ما بملأ قلوبهم من الإخلاص والحب ؛
وظلت هذه الزبارة تملأ كنسيم العصر حديثهم طول اليوم
وفي المساء عند ما لفظ الحقل بقاياهم دفع الإعجاب الشديد
قروياً في سن الحلم إلى أن يلقى نظرة على الفتاة من وراء سياج
حديقة المنزل وكان في طريقه

ولم يكده يفعل حتى يمر في مكانه واتسمت حدقاته وشجب ،
وأخذ يرتد كالمحوم ويدعو زملاءه في إشارات مجنونة وينصحهم
بالصمت والخذر بوضع سبابته الحائرة على فقه المرتش ؛ وكل من كان
يأخذ مكاناً إلى جواره كانت تمر به نفس الحالة . ولم تمض مدة حتى
تكونت جبهة ترتد وراء السياج

كانت المعبودة السمراء تتمرغ بين ذراعي الشاب الذي رأوه
معهما في الصباح يضر وجهها وتسر وجهه بقبليات حارة فائرة ،
ويلتصق بها وترداد به التصاقاً حتى تكاد تنفي فيه ، وبقياء الغروب
تلقى عليهما لوناً خيوائياً ساخناً يضيء وجه الفتاة الملتب ووجنتها
المتقدتين ، ويشعل الرغبة العنيفة المنبثقة من عينيها الفارقتين في
الأحلام ، ويسدل ستاراً كثيفاً على الوداعة اللاثكية التي اعتادوها
ولما همت تسير مع الشاب متجاملة بكل جسدها على ذراعه